تأملات سينمائية

معتز عرفان

دار عرفان للنشر

تأملات سينمائية

(الفن السينمائي والفكر الإنساني)

معتز عرفان

دار عرفان للنشر

تأملات سينمائية

الفهرس

فكرة الكتاب

تأملات في عالم السينما والفن.

الفصل الأول

السينما والسريالية

تمثل السريالية الدمج بين الواقع والخيال، والعمل علي تقديم هذا المحتوي ضمن إطار محدد يضعه المخرج ويعمل علي تطويره. وتجنح إلي ما فوق الواقعية، وتحاول الوصول إلي اللاوعي والأفكار المتناثرة الكامنة بدواخل النفس البشرية. كما تهتم باستخدام صور صادمة وكادرات فنية متناثرة خارجة عن الإطار السردي الخاص بالحبكة، لتخلق في النهاية حالة من الصدمة يتلقاها المشاهد ضمن بيئة مفعمة بالنشوة والذهول. بدأت السريالية في الظهور في العقد الثاني من القرن العشرين، وتطورت بعد ذلك لتعبر عن أفكارها بشكل ثوري يهدف إلي التمرد علي القواعد السينمائية المعهودة، ويسمح للمخرجين بالحصول علي مساحة واسعة من الإبداع والتعبير. يعتبر الكثيرون المخرج الإسباني "لويس بونويل" الأب الروحي للسينما السريالية والمؤسس الأول لها، وقد قدم الرجل في عام 1929 فيلمه الشهير "كلب أندلسي" بالتعاون مع الفنان السريالي المعروف سلفادور دالي، وحقق الفيلم نجاحاً باهراً وقتها. يعتمد هذا العمل السينمائي علي الأحلام الخاصة بلويس بونويل وسلفادور دالي، ويعبر عن

أفكارهما بشكل استثنائي وصادم، ليعرض علي المشاهد تجربة سينمائية جديدة ومميزة. يحتوي علي كادرات غريبة مثل لقطة عجيبة لغيوم مارة بجوار القمر، وصورة لشفرة حلاقة قاطعة لعين بشرية، وغيرها من المشاهد الغريبة المستمدة في الأساس من أحلامهما. وفي عام 1967، قدم بونويل فيلمه "جميلة النهار"، وهو فيلم سينمائي شهير من بطولة الممثلة الفرنسية الجميلة كاترين دونوف وميشيل بيكولي، ويهتم بعرض قصة السيدة سيفرين التي تعيش مع زوجها في حالة من البرود واللامبالاة. تحاول سيفرين الخروج من حالة البرود المهيمنة علي حياتها والقابعة في روحها؛ لتتمرد علي القواعد المجتمعية ولينتهي بها الأمر إلي العمل بماخور سري في أحد الأزقة الباريسية هناك. تعمل أثناء فترة النهار، وتأخذ فترة مطولة حتي تعتاد الأمور هناك، لتصبح بعد ذلك خبيرةً بالمجال، بينما يعيش زوجها في عالمه الخاص. تتوالي الأحداث ضمن إطار سريالي واضح يعرضه بونويل بشكل استثنائي وعظيم، وتظهر لقطات فجائية وصادمة، ليخرج الرجل عن الإطار السردي الخاص بالحبكة، وليستخدم الدافع السريالي كمبرر لخروجه عن النص

المعهود والإطار السردي المعروض. بالطبع، يعرض قصته ضمن إطار منطقي واضح مستخدماً موهبته الفريدة، ليدرج سرياليته الخاصة به دون الإخلال بالمحتوي الكلي الخاص بالسرد، ويستخدم كاترين دونوف كعامل رئيسي وفعال بالفيلم معتمداً علي موهبتها التمثيلية وجمالها الخلاب؛ ليضفي علي العمل طابعه الفني الفريد مستخدماً الأسلوب الفجائي الخاص بالسريالية والأفكار الثورية الخاصة بمحتوي القصة نفسها. في عام 1972، قدم بونويل فيلمه المميز "سحر البرجوازية"، وهو فيلم سينمائي يعتمد بشكل واضح علي حبكة عبثية تقوم علي المحاولات المتكررة لمجموعة من أفراد الطبقة المتوسطة، والتي من شأنها أن تمكنهم من الاجتماع سوياً من أجل تناول وجبة العشاء. يعرض الفيلم الكثير من اللقطات الغريبة، والتي تظهر الأمور بشكل عكسي وغير تقليدي عبر الاستخدام المفرط للعنصر السريالي، والذي يدمج بطبيعة الحال بين الواقعية والخيال. كما يناقش طبيعة البرجوازيين والأجواء المحيطة بهم، ويسمح للمشاهد بالتعرض للكثير من المواقف الظريفة والغريبة، والتي من شأنها أن تجذب انتباهه وتثير

حواسه. قدم بونويل في عام 1974 فيلمه السينمائي "شبح الحرية"، وهو عمل مميز يقوم بشكل رئيسي علي التسلسل السريالي للأحداث والتشكل التدريجي الصادم للكادرات الفنية، ليسمح له بعرض فكرته القائمة علي نقد المجتمع ومناقشة الأخلاقيات الخاصة به في أفضل صورة ممكنة. لم يكتف بونويل بهذا الفيلم فحسب، بل أتبعه في عام 1977 بفيلمه الأخير "الجانب الغامض للرغبة"، والذي يعرض من خلاله المواجهات القاسية بين الواقع والوهم، والصراع الأزلي بينهما. كما يعرض الملذات والرغبات، والصراع القائم في ذهن شخصيته الرئيسية "ماتيو"، والتي يجسدها الممثل الإسباني فرناندو راي بشكل رائع ومميز، بينما تؤدي شخصية "كونشيتا" أنجيلا مولينا، وكارول بوكويت في دور مزدوج ومزعج لشخصية "ماتيو". يحاول ماتيو الحصول علي كونشيتا بكل الطرق لتظهر له الفتاة بشكل متغير ومتلون علي طول الطريق، حيث تظهر له في ثوبين مختلفين؛ أحدهما ملائكي والآخر شيطاني لتسبب له الكثير من البلبلة والاضطراب، وليخرج عن شعوره في نهاية المطاف. بالطبع، يعرض بونويل فيلمه بشكل

اندماجي ليسمح للسريالية بأن تنساب إلي الدراما الخاصة بالحبكة، وليخلق لنفسه متنفسه المعتاد والمميز، ليصنع في النهاية فيلماً سينمائياً مميزاً بينما يلتقط أنفاسه الأخيرة. تستمد السريالية روحها من الخيال، وتسمح لمتبعها بمساحة فنية واسعة ورحبة؛ ليقدم أفكاره بشكل انسيابي وخلاق، وقد تطورت عبر العقود المتتابعة لتشمل الفنتازيات والأحلام والهلاوس وحالات التخدير المختلفة والمرتبطة بتلاشي الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال. يُعد المخرج الأمريكي تيم برتون سيد الفنتازيا، وقد عمل علي الكثير من الأفلام التي تدمج بين الواقع والخيال لتنتج في النهاية إطاراً فنياً مميزاً ذا أسلوب خاص. ويُعد الممثل الأمريكي الشهير جوني ديب الحليف الأهم والأشهر في مسيرة برتون، وقد عمل معه من خلال أفلام كثيرة مثل إد وود، وإدوارد صاحب المقصات، وسويني تود، وسليبي هولو، وغيرها من الأفلام العظيمة والتي دمجت بين الخيال والواقع بشكل واضح ومميز. تعتمد أفلام برتون علي الفنتازيا بشكل واضح لكنها تأخد الجانب السريالي من خلال الدمج بين الواقع والخيال، وهو ما يحدث في عدد من هذه الأفلام

بشكل مختلف تماماً عن بونويل أو بمعني أصح عن التطبيق الكلي والتقليدي المُتبع من قبل رواد المدرسة السريالية، حيث يهتم بعملية عرض الخيال بشكل أكبر من عملية الدمج بينه وبين الواقع، لكنه في نفس الوقت لا يتخلي عن فكرة الدمج بل يمارسها في العديد من المشاهد والكادرات السينمائية الفنية. في فيلمه "أليس في بلاد العجائب"، يستمد برتون سرياليته من الأحجام والأشكال الغريبة للشخصيات، والتي تجعل المشاهد يشعر وكأنه منغمس في حلم أو تسلسل مبني بشكل أساسي علي الخيال. هنا يدمج الرجل بين الجسد البشري بمواصفاته المعهودة من جهة وبين الخيال من جهة أخري، وفي نفس الوقت يخلق درجة من التغير في بعض أجزاء الجسد البشري ليقدم في النهاية شخصيات مختلفة وغريبة. تظهر عملية الدمج بين الواقع والخيال ليخلق لنفسه عالمه السريالي الخاص، وتظهر سرياليته في أفلامه الأخرى بصورة مستمدة من الفنتازيا والخيال مثل المقصات التي يضيفها إلي شخصية إدوارد، والغرائبية التي يضفيها علي شخصية سويني تود، والرأس المختفية لإحدي شخصيات سليبي هولو، وغيرها من الأمثلة التي من

شأنها أن تصنع العالم السريالي الخاص بالمخرج الأمريكي تيم برتون والقائم علي الدمج بين الواقع والخيال. قد ترتبط السريالية السينمائية بالغرائبية وإدراج الجانب الغرائبي ضمن الحبكة الفيلمية، ومن الممكن أن نشهد هذه الخلطة الفنية من خلال أعمال المخرج الشهير رومان بولانكسي، ومن الممكن أن نأخذ من فيلمه "البوابة التاسعة" كمثال علي ذلك، وقد أنجزه مع جوني ديب أثناء وجوده في أوروبا، لنحصل في النهاية علي فيلم مفعم بالغرائبية والسريالية بصورة واضحة. يستمد العمل سرياليته من خلال الرحلة التي يخوضها المهووس بالكتب "كورسو"، والذي ينطلق عبر جولة شيطانية بهدف جمع ثلاثة كتب مكتوبة بواسطة شخصين أحدهما الشيطان نفسه، وتظهر في الفيلم زوجة بولانسكي إيمانويل سينيه، ولينا أولين، وفرانك لانجلا، ليقدم بولانسكي في النهاية فيلما مثيرا ومميزا. تظهر السريالية في أعين الفتاة المتلونة وحركاتها العبثية، والاضطرابات غير المبررة التي تشهدها الكادرات السينمائية الخاصة بالفيلم، لينجح الرجل في النهاية في خلق بيئة متأصلة ومدمجة من الواقعية والخيال. تُعد أعمال المخرج ديفيد

لينش سرياليةً ضمن إطار مختلف، فعندما ننظر إلي فيلم "ماهولاند درايف"، نجد أننا بصدد التحدث عن فيلم سينمائي مفعم بالسريالية، والدمج بين الواقع والخيال، حيث نجد شخصيتا ناعومي واتس ولورا هرنج منغمستين في حالة من التأرجح بين الواقع والخيال، والانخراط في عالم يشبه عالم الأحلام. يستمد الفيلم سرياليته من خلال التنقل الغريب بين الأحداث، ولا يتوقف الأمر عند ذلك فحسب بل تشعر وكأنك تشاهد فيلماً بداخل فيلم آخر. تشعر وكأن القصة تنساب لتتكون قصة أخري جديدة ومختلفة، وتتحقق السريالية بشكل واضح من خلال إدراج بعض العناصر الغريبة داخل الإطار الكلي للفيلم، وقد أحدث هذ العمل ضجةً كبيرةً في هوليوود، لأنه أظهر نوعاً جديداً من صناعة الأفلام، ولم يتوقف عند ذلك فحسب بل أعطي دفعةً كبيرةً للمسيرة الفنية الخاصة بكل من لينش وواتس. ومن المخرجين السرياليين أيضاً، المخرج الأمريكي تيري جيليام والذي أظهر جانبه السريالي من خلال الاعتماد علي عدد كبير من الأفلام، ومن بينها فيلم الخوف والبغض في لاس فيجاس. في هذا العمل

السينمائي، ينطلق الصحفي الغريب راؤول دوك وصديقه المحامي السيكوباتي دكتور جونزو في رحلة عبثية إلي لاس فيجاس محملين بالعديد من الأنواع المختلفة للمخدرات والمهلوسات ضمن إطار عبثي يرصده جيليام، ويجسده جوني ديب مع فريق من الممثلين يتضمن كلا من بينيشيو ديل تورو وتوبي ماجوير وكريستينا ريتشي وكاميرون دياز. يعتمد الفيلم علي الرواية الشهيرة للصحفي هانتر اس طومسون، والتي تحمل نفس الاسم وتعتمد علي إظهار الجانب السلبي للمخدرات، وِفي نفس الوقت تظهر قدراً كبيراً من السخرية فيما يتعلق بالحلم الأمريكي والأوهام المتعلقة به. في العمق، يسخر الفيلم من فكرة الحلم الأمريكي واصفاً إياها بالوهم ومصنفاً المؤمنين بها بالسذج، فقد بدأت كفكرة هادفة جميلة مفعمة بالبهجة والأمل والتفاؤل، لكنها تدهورت مع الوقت كنتيجة للتكالب وفقدان الأخلاق وانهيار القيم والمبادئ من أجل المادة. أدت المادية المبالغ فيها إلي انهيار الأخلاق، وأدي التكالب علي المادة إلي إنهاك الأرواح، وفقدت الفكرة مثاليتها الزائفة سريعاً لتسقط طريحة الأرض، هي وكل أتباعها الحالمين سابقاً والمتكالبين

لاحقاً. تسيطر الهلاوس والأوهام علي دوك وجونزو بشكل غير عادي مانحةً جيليام القدرة علي خلق بيئة سريالية مميزة قادرة علي الدمج بين الواقع والخيال، ومفعمة بالإبداع والتميز. يمنح السيناريو المميز تيري جيليام القدرة علي الإبداع، وخلق شخصيات عميقة ومميزة، وفِي نفس الوقت ينجح ديب في خلق شخصية استثنائية وهامة مانحاً رواية طومسون قدراً كبيراً من الانتعاش، ليضخ الدماء في عروقها ببراعة، ويعيدها إلي طاولة النقاش الفني من جديد. ومن الأمثلة الأخري علي السينما السريالية، فيلم "ماجنوليا" لبول توماس أندرسون والذي يستمد سرياليته في إطار محدود من خلال أحد المشاهد المميزة للغاية والذي يشمل تساقطاً سريعاً للكثير من الضفادع من السماء لتتنزل بشكل كثيف علي المدينة وتملأها بدرجة كبيرة من الريبة والاضطراب. ولا يمكننا أن ننسي اللقطات السريالية في أفلام المخرج الإيطالي فيدريكو فيلليني، والتي من شأنها أن تخلق إطاراً سريالياً مبنياً علي إدراج عناصر غريبة ومريبة ضمن البيئة الشاملة

للقصة المعروضة، وقد يمثل فيلمه الشهير "ثمانية ونصف" مثالا واضحا للتعبير عن هذه الحالة المفعمة بالإثارة والتشويق.

الفصل الثاني

السينما والوجودية

تمثل الوجودية تياراً فلسفياً مبنياً علي فكرة حرية الإنسان التامة وتفرده. تؤكد علي حريته في التفكير دون أي قيود وتشير إلي عدم احتياجه إلي موجه أو قوة خارجية تحركه. عانت الحركة الوجودية من اضطراب واضح وتذبذب متكرر، مما أدي إلي نيل الضباب منها ليحيطها إحاطةً شبه تامة. لم يعط أحد من فلاسفتها تعريفاً واضحاً لها، ولم يصلوا معها إلي نتيجة مؤكدة، وقد انبثقت منها حركات أخري مثل العبثية لكامو. يمثل كيرجورد، ونيتشه، وسارتر، وهيدجر أعلاماً أساسيين ومحوريين بين أعلام المدرسة الوجودية الباحثين باستمرار عن معني الحياة وهدف الوجود الإنساني، بينما خرج كامو متحدثاً عن عبثية هذا الكائن المحدود. تحدث سارتر عن "تجربة الغثيان"، والتي تعمد إلي حقيقة زوال كل شيء، وتمكن الفناء من الإنسان مما يدفعه إلي شعور أشبه بالشعور المصاحب للغثيان، وقد استخدم الوجوديون مصطلحات عديدة في حواراتهم مثل الكينونة، والسيرورة، والصيرورة، والأنطولوجيا، وغيرها. ونجحوا في تكوين لغة خاصة بهم للتسهيل من النقاش بينهم، والوصول إلي النتائج بسرعة ودقة.

تنقسم الوجودية إلي فريقين أحدهما ملحد (وهو القسم الأكبر)، والآخر مؤمن، وقد نتجت الحركة خلال النصف الأول من القرن المنصرم، والذي تشبع بالحروب ونجم عنه ملايين القتلي، فحاولوا البحث عن معني الوجود الإنساني، والغاية الرئيسية من وجوده. هكذا نكون قد تعرفنا علي الوجودية كحركة فكرية ناشئة ومهمة، لكننا نرغب في مناقشتها من خلال الفن السينمائي ومدي تأثر المخرجين السينمائيين بها ومحاولاتهم المتكررة لنقل الكثير من الأفكار الخاصة بها إلي الوسط السينمائي والفني. في عام 1960، قدم المخرج الفرنسي جان لوك جودار فيلمه السينمائي "اللاهث" من بطولة جان بول بلمندو، وجان سبرج، ومن كتابة فرانسوا تروفو، وقد عبر الفيلم عن النزعة الوجودية بشكل غير مباشر، وعرضها في إطار واضح أحياناً، ومبهم أحياناً أخري. يبدأ العمل السينمائي في إطار مليء بالعصابات والجرائم، لتتوالي الأحداث متخذةً إطاراً فلسفياً تارةً، ورومانسياً تارةً أخري. لا يُعد بطل الفيلم وجودياً بالضرورة أو فيلسوفاً ساعياً نحو الحقيقة لكنه وجودي بالفطرة، وفيلسوف بشكل عفوي. تصاحبه الوجودية

دون إدراك منه، حيث أنك كمشاهد تشعر بكينونته الساعية نحو الحقيقة. تشعر طوال الفيلم بحالة الفقدان التي يعيشها البطل، وكأنه يبحث عن قيمته في الحياة، وسر وجوده، ومسئوليته القابعة في عنقه. ولعل هذه المواصفات تذكرنا بفيلم جودار وبلمندو الآخر، والذي يحمل عنوان "بيرو المجنون". صدر هذا الفيلم في عام 1965 بمشاركة الجميلة آنا كارينا مع بلمندو في دور بيرو التائه والباحث عن الهدف من وجوده علي قيد الحياة. هنا نجد جودار قادراً علي خلق بيئة سينمائية مميزة قادرة علي لفت الأنظار وجذب الانتباه، وبالطبع يعد هذا العمل الفني علامة فارقة في تاريخ السينما الفرنسية، حيث يروي الفيلم قصة بيرو الذي يشعر بالضيق تجاه مجتمعه المعقد والممل، ويقرر فجأةً أن يتخلي عن كل شيء ويغادر باريس متجهاً إلي إحدي الدول القابعة علي سواحل البحر المتوسط مع ماريان "كارينا"؛ عشيقته السابقة والمطاردة من قبل بعض القتلة المأجورين. إنها قصة بسيطة من الخارج، لكن في العمق تكمن فلسفة وجودية عظيمة يدهشنا بها جودار، حيث يطرح الفيلم الكثير من الأسئلة الفلسفية المدهشة، ويتوغل في

الحديث عن معني الحياة. إن منبع جماله يكمن في المحادثات الممتعة بين ماريان وبيرو، تلك المحادثات العميقة التي تتخللها الفكاهة، وفِي نفس الوقت تحيط بها أحداث بسيطة وعبثية. ولا يمكننا أن ننسي فيلم جودار مع كارينا الصادر في عام 1962، والذي يحمل عنوان "حياتي لأعيشها"، وقد حقق نجاحا كبيرا وقتها.

يُعد هذا الفيلم واحداً من أهم أفلام جودار، ويمثل ركناً أساسياً في مسيرة آنا كارينا. تصل مدته إلي ساعة وعشرين دقيقةً، وقد تُعد قصيرة نسبياً لكنها وافية ومناسبة للفكرة والمضمون. يتكون من ١٢ مقطع، بينها عدة مقاطع من الممكن تصنيفها ضمن إطار "التابلو"، حيث تتضمن تجسيدا صامتا أو ثابتا من قبل الممثلين. كما أننا خلال المشاهدة، نقابل مقاطعاً متصلةً وأخري غير متصلة، يتم توضيحها من خلال مقدمة كلامية سريعة. يقدم جودار إخراجا سريعاً ومحكماً، ويعرض فكرته بشكل حرفي رائع دون إطالة أو إخلال بالمضمون، حيث يعرض حبكته سريعاً بشكل شيق ومثير مما يجنب المشاهد الملل، ويساعده علي الاندماج مع تطور شخصية نانا، والتي تؤدي دورها الجميلة آنا كارينا. يحكي

الفيلم قصة امرأة باريسية "نانا"، والتغيرات الطارئة في حياتها، والتي تدفعها إلي العمل في بيوت البغاء. يتناول القصة بشكل بارع ومحكم واصفاً التطور المصاحب لشخصية نانا، والبيئة الجديدة التي تنخرط فيها. كالعادة، يمنحنا جودار بعضا من فلسفته الوجودية الأنيقة، مدرجاً إياها في واحد من المشاهد التي تجمع نانا "كارينا" برجل عجوز قاطعته حينما كان منغمساً في القراءة بأحد البارات. تحدثه عن أهمية الحوارات بين البشر، وتطرح الكثير من الأسئلة الهامة، فتقول "هل الكلام مهم؟ هل يحتاج الإنسان للتعبير عن نفسه دائماً؟ وما الفائدة من كل ذلك؟" .. يخبرها الرجل عن أهمية الكلام وأنه ضروري للتعبير وملء الفراغ، ويحدثها عن بلاتو "أفلاطون - تلميذ سقراط ومعلم أرسطو" وعن تداول كلماته بين الناس بالرغم من عدم معرفتنا الدقيقة بلغته وبالرغم من حقيقة تلاشيه منذ قرون. يخبرها عن أهمية الكلمة وأهمية أن يعبر الإنسان عن نفسه ليفهم البشر بعضهم البعض، حتي لو كان هذا الاتصال مجهداً ومملاً في كثير من الأحيان.

فالكلام هام دون شك حتي ولو كان من المعروف، أنه كلما زاد

عدد الكلمات قل معناها وفقدت أثرها. كما يخبرها بالحاجة الملحة للكلام واستحالة الحياة بدونه. تنخرط نانا في حياة الدعارة البغيضة منغمسةً في بيئة من البرود واللامبالاة، وحينها تتعقد الأحداث وتصل إلى الذروة، لتُقتل الفتاة "نانا" في النهاية. في عام 1979، صدر الفيلم الأمريكي "القيامة الآن" لفرانسيس فورد كوبولا ومارلون براندو، ويُصنف ضمن الأفلام الوجودية لأنه يناقش مصير الإنسان ورحلته السوداوية للوصول إلي الحقيقة. كما يناقش الوجود الإنساني، وتأثره بالحرب، والصراع الدائم بين أجناس البشر المختلفة. يركز الفيلم علي حرب فيتنام والآثار السلبية الناجمة عنها، ويعرض الأزمة الوجودية المتعلقة بذلك، ولا يتوقف عند هذه النقطة فحسب بل يشمل الكثير من الموضوعات الشائكة الأخرى. وفي نفس العام، صدر الفيلم الروسي "ستوكر" لتاركوفسكي ليترك تأثيراً سينمائياً كبيراً علي المشاهدين حول العالم، حيث يناقش العمل الرغبات الوجودية والمعني الذي تقوم عليه الحياة. يهتم بعرض الكثير من الأسئلة، مثل: ما الذي يجعل الحياة هامةً؟ ما هي الحقيقة؟ وما حقيقة اختياراتنا؟ وما حجم إدراكنا؟

وغيرها من الأسئلة الوجودية التي يطرحها بسلاسة وانسيابية من خلال أبطال القصة الثلاثة. ولا يمكننا أن ننسي الفيلم السويدي "التوت البري" لإنجمار برجمان، والذي يهتم بعرض الذكريات الخاصة برجل عجوز قد نال الشيب منه، ليأخذنا الفيلم في تسلسل سردي ممتاز وعظيم تحت إشراف المخضرم برجمان. أيضاً من الأفلام التي من الممكن أن ندرجها ضمن التيار الوجودي فيلم "الهروب" الصادر في عام 2018 من بطولة جيما أرترتون ودومينيك كوبر، والذي يحكي قصة امرأة متزوجة وسعيها نحو البحث عن معني الحياة والهدف من وجودها بعد شعورها مؤخراً بعبثية حياتها وعدم جدواها. ولا يمكننا أن ننسي فيلم "البروفيسور" الصادر في عام 2018 من بطولة جوني ديب وداني هيستون، حيث يهتم بعرض الكثير من الأسئلة الوجودية التي تطرحها الشخصية الرئيسية "ريتشارد" بصورة مستمرة علي مدار العمل السينمائي.

الفصل الثالث

السينما والفلسفة

تتمثل الفلسفة في دراسة المشاكل الأساسية التي تتعلق بالعديد من الأمور مثل الوجود، والمعرفة، والقيم، والعقل، واللغة، وغيرها من الموضوعات الأخري التي تمثل محاوراً أساسيةً في حيوات البشر. تطورت لتشمل الكثير من الصور عبر العصور، ولتظهر في أطر جديدة علي مدار الطريق، وقد نجحت الكثير من الأفلام السينمائية العالمية في نقل الحكمة والفلسفة الخاصة بالكثير من المفكرين والكتاب إلي شاشة السينما لتؤثر هذه الأفكار الهامة والخلاقة في الكثير من المشاهدين حول العالم. في فيلم "الحياة الجميلة" للمخرج الإيطالي فيدريكو فيلليني، نجد الفلسفة في قمتها والحكمة في أوجها من خلال عرض الصراع الدائر حول الشخصية الرئيسية بالفيلم "مارشيلو". يتناول العمل الفني أسبوعاً في حياة صحفي منغمس في إقامة الحفلات وأنماط المتع المتعددة محاولاً من بين كل ذلك أن يجد طريقةً ما ليصبح كاتباً جاداً وهاماً. تُسرد قصة الصحفي مارشيلو بشكل مُفصل لتقترب مدة الفيلم من حوالي ثلاث ساعات مفعمة بالإثارة والتشويق، والاضطراب تارةً، والاستقرار تارةً أخري. في واحد من المشاهد،

نجد شخصية تدعي "نادية" منغمسةً في حالة من المجون بينما يحيط بها الكثير من كبار الفن والصحافة لينتهي المشهد بشكل فجائي بعد التعرض إلي بيئة من التصرفات الغريبة والغامضة من قبل الجميع. يتبع هذا المشهد حالة أخري من الاضطراب، والمجون، وعدم الاتزان نتيجة لإسراف الشخصيات في تناول الخمر بكل تأكيد. ونجد مارشيلو متجهاً ناحية واحدة من الفتيات ليخبرها بكلمات عجيبة وغريبة، وليحيطها بالكثير من الريش في مشهد غريب ضمن مشاهد أخري غريبة ومريبة ومفعمة بالتفلسف في نفس الوقت، علي طريقة فيلليني دون شك. بالطبع يشارك في الفيلم إلي جانب ماسترورياني كل من أنيتا اكبرج وأنوك ايميه في شخصيتين مميزتين، لتضيفا المزيد من الدفء والإبداع داخل الإطار العام للفيلم. في مشهد من المشاهد، نجد ماسترورياني منخرطا في الكتابة بينما يجلس بأحد الكافيهات الصغيرة المطلة مباشرةً علي الشاطيء، وفي نفس الوقت تحاوره فتاة القهوة بشكل فلسفي وأنيق لتظهر له من جديد في نهاية الفيلم في مشهد غريب يتلخص في وقوفه علي مسافة منها بينما تحاول أن تخبره بشيء ما،

وفي نفس الوقت تحد الأصوات العالية للأمواج من إمكانية ذلك، لينتهي العمل الفني بصورة يشملها الغموض والشك. فيلليني مخرج بارع بكل تأكيد وأيقونة إيطالية فريدة، وربما تجد قدراً من الضبابية في رؤيته السينمائية لكنه أمر صحي طالما أنها لا تحد من وصول الفكرة وفهم المضمون وإدراك الإطار الكلي للحبكة. قد يُؤخذ الفيلم بشكل فلسفي عميق يتلخص في هبوط شخصية مارشيلو من الجنة إلي الجحيم، ويبدو أن الفتاة في المشهد الأخير تخبره بضرورة الرحيل معها لينقذ نفسه من أتون الجحيم، لكنه يرحل مع صحبته الشيطانية دون أن ينصت لها منساقاً وراء حالة اللامبالاة التي شملته منذ البداية، وكأنها الكوميديا الإلهية لدانتي لكن بشكل عكسي. في فيلم "بوابة الخلود" وبشكل فلسفي وحكيم، يتناول المخرج الأمريكي جوليان شنابل قصة الرسام الهولندي الشهير فينسنت فان جوخ والصراعات النفسية التي عاشها وقضت عليه في النهاية. يُعد فان جوخ واحداً من أشهر الرسامين وأكثرهم تأثيراً في تاريخ الفن الغربي بأكمله. نجح الرجل في الانتهاء من ٢١٠٠ عمل فني من بينهم ٨٦٠ لوحة زيتية

خلال عقد واحد، مما يدفعنا إلي الإعجاب والتصفيق بكل تأكيد. فقد حقق الرجل إنجازاً عظيماً بالرغم من صراعاته النفسية المتعددة والعقبات الكثيرة التي وقفت في طريقه خلال أعوامه ال37. يلعب ويليام دافو دور البطولة بشكل رائع، وبالرغم من كبر سنه إلا أنه ينجح في تجسيد الشخصية وإنجازها بشكل لائق. وفي نفس الوقت يقدم جوليان شنابل إخراجاً متواضعاً، ويعتمد بشكل واضح علي كاميرا اليد في الكثير من المشاهد مالئاً كادراته بالكثير من المناظر الطبيعية الخلابة، والتي يعج بها الجنوب الفرنسي، ليقلل من التوتر الناجم عن الأجواء الاكتئابية التي تعيشها شخصية فان جوخ طوال الفيلم. يركز المخرج علي الطبيعة ويظهرها بشكل واضح؛ لأنها تمثل ركناً أساسياً في فن فان جوخ بل من الممكن أن نعدها القاعدة الرئيسية لأعماله الفنية الناجحة والشهيرة. يتغاضي فان جوخ عن آلامه، ويتجاهل مخاوفه، ويتخلص من العقبات التي تحول بينه وبين سرمدية فنه. يقف عند بوابة الخلود، ويتخلص من المادية المؤلمة، لتسمو أعماله الفنية وتتلألأ بينما تطأ قدماه أرض الخلود. يعرض الفيلم الفكر الفلسفي

الخاص بالفنان، ويعبر عن أفكاره ومشاعره وطريقة رؤيته للأمور. وتتسلل الفلسفة إلي الفيلم بصورة مباشرة أحياناً وبصورة غير مباشرة أحياناً أخري، ليسرد شنابل في نهاية المطاف قصة فان جوخ واضعاً إياها في الإطار الصحيح. من الأفلام الأخري التي تتبع النهج الفلسفي المعهود، فيلم "مكتوب" من إخراج عبد اللطيف كشيش، ومن بطولة أوفيلي بو وشاهين بومدين، و الذي يلعب دور شاب باريسي عائد إلي بلدته الأم في جنوب فرنسا، ليقابل الكثير من أصدقائه القدامى بعد أن حال الزمان بينهم. يلعب شاهين دور المصور وكاتب السيناريو الطموح، والذي يسعي نحو تحقيق ذاته والوصول إلي مبتغاه. يقابل أمين (شاهين) أوفيلي (أوفيلي) في بداية الفيلم لتتوالي الأحداث بعدها بشكل سلس معتمد بصورة واضحة علي السيناريوهات المطولة والأحاديث الممتدة بين الشباب. يتنقل بين الشواطئ والبارات ليقابل أصدقاء الطفولة الواحد تلو الآخر، وليجد نفسه في حالة من البحث الدائم عن الإلهام والعاطفة والسعادة بينما يحيط به أصدقاؤه القدامى وعائلته الدافئة. يأتي الإلهام في صورة الفتايات الكثيرات اللاتي

يقابلهن خلال جولته الممتدة في ربوع بلدته الآسرة. كما تدور الكثير من الحوارات بينه وبين صديقته أوفيلي، والتي يعزها بشكل خاص ويعشق الحوارات معها. هنا نجد الفيلم مبنياً بشكل واضح علي الأحاديث بين الشباب والحنين للماضي، كما يركز علي البراءة التي تُفقد مع الوقت لتذهب هباء الريح وتتبخر كما يتبخر الماء في عنان السماء. نجد أمين مشتتاً بين الواقعية والرومانسية، متواجداً متأملاً تارةً، وموجوداً متفاعلاً تارةً أخري، تلاعبه ذكريات الطفولة ويباغته الواقع بمجرياته الطارئة. يعتمد الفيلم علي الثرثرة والحوارات الفارغة أحياناً كثيرة، وهو ما يندرج تحت مقصد كشيش، والذي يميل إلي التركيز علي الطبيعة النسوية كعادته ويقدم "بو" ضمن هذا الإطار بشكل واضح. الكثير من الشواطئ .. الكثير من الرقص .. الكثير من الحوارات المطولة .. مما يجلب إلي الأذهان ومضات سريعة من أعمال إيريك رومر بكل تأكيد، ولكننا هنا أمام حالة من التأمل والعفوية والأحاديث غير المنمقة وضبابية الفكرة مقارنةً برومر، وحتي مقارنةً بعمل كشيش السابق. لا تتبلور الأحداث لتصل إلي شيء معين، ولا نجد عقدةً أو ذروةً أو

شيئاً من هذا القبيل، بل نجد حالةً من الانسيابية الكلامية المطولة لينتهي الفيلم بشكل هاديء وسلس. وبالرغم من هشاشة السيناريو والثرثرة التي لا طائل منها، إلا أن الفيلم ينجح في أمور أخري من بينها التصوير المميز، والحماسة المفرطة، والموسيقي الجيدة. كما ينجح في إبراز ممثلين جدد علي الساحة السينمائية، ويبرع في إظهار الحياة الفرنسية والثقافة المصاحبة لها والفلسفة المتعلقة بالشباب والنهج الذي يتبعونه حينما يحاولون حل مشكلة ما من تلك المشاكل المتعلقة بأعمارهم في هذه الفترة. هنا نجد فلسفةً خاصةً بهم، حيث يسمح كشيش للشباب بالتعبير عن أنفسهم، وعرض ذواتهم، ونقد الأمور المحيطة بهم، ليساعدهم في النهاية علي تكوين الشخصيات الخاصة بهم والعمل علي تطويرها قدر المستطاع.

الفصل الرابع

السينما والموت

عندما نتحدث عن السينما وعرضها لموضوع الموت، فلابد أن نذكر الفيلم السويدي "الختم السابع" للمخرج الشهير إنجمار برجمان، والذي يُعد واحداً من أهم الأفلام في تاريخ السينما العالمية. يهتم العمل السينمائي بعرض قصة أنطونيوس وصراعه مع الموت الذي يلاحقه علي مدار الفيلم محاولاً النيل منه، ومتمثلاً في شخصية رجل غامض وغريب، ليمثل الموت والنهاية بالنسبة لشخصية أنطونيوس التائهة والحائرة منذ بداية الفيلم وحتي نهايته. تسير الأحداث لتناقش انتشار مرض الطاعون بالتزامن مع الحوارات الممتدة، والتي يجريها أنطونيوس مع الشخص الممثل للموت والذي يطارده دون هوادة. تتوالي الأحداث معتمدةً علي الحوارات الوجودية والفلسفية العميقة، والتي من شأنها أن تطرح الكثير من الأسئلة عن الحياة، والموت، والوجود بشكل عام. يُناقش موضوع الموت، وما يصاحبه من انتهاء مفاجئ لمسيرة الإنسان بعد الكثير من الصراعات التي يخوضها علي مدار الحياة. وتُعرض فكرة التلاشي والاختفاء، وفي نفس الوقت تُطرح الكثير من التأملات في كينونة الإنسان، وإحساسه بنفسه، وتلاشي هذا الإحساس مع

الوقت ليشعر في النهاية بحجمه الحقيقي مقارنةً بحجم هذا الكون العملاق. أيضاً من الممكن أن نضع فيلم "الرمادي" لليام نيسون كمحور آخر لنقاشنا حول السينما وعلاقتها بموضوع الموت، حيث يناقش العمل الفني الصراعات التي يواجهها عدد من العاملين بقطاع البترول بعد تحطم طائرتهم فوق سطح الجليد، لتتوالي الأحداث راصدةً موتهم الواحد تلو الآخر. يتطرق إلي فكرة البقاء، ومحاولات الإنسان توفير كل ما يلزم من أجل وجوده وبقائه علي سطح الأرض، ومواجهة كل ما يمثل الخطر والتهديد بالنسبة إليه. يجرد الخوف الإنساني، ويعمل علي تشريح فكرة الخوف الذي يكبل الإنسان ويمنعه من المضي إلي الأمام، كما يعرض نضال الأفراد في تحدي الظروف والبيئة والطبيعة الشرسة، والتي تمثل اختباراً كبيراً للإنسان بطبيعة الحال. يدعو الفيلم الإنسان إلي مواجهة مشاكله، والعمل علي حلها بدلاً من البقاء في المنطقة الرمادية، والتي لا تجلب سوي التذبذب والتردد والهلاك، حيث تمثل مواجهة الصراعات والتحلي بالشجاعة الحل الأمثل للقضاء علي المشاكل النفسية والتخلص منها، والحصول علي القيم

الروحية المرغوبة، والوصول إلي الصفاء والنقاء الروحي بكل تأكيد. هنا نجد المواجهة الداخلية الكامنة في النفوس البشرية متمثلةً في الإطار الخارجي من خلال مواجهة أبطال العمل للذئاب المنتشرة في الغابات، والتي تعمل علي اصطيادهم الواحد تلو الأخر. لكننا أيضاً نشهد حالة من الشجاعة في مواجهة الموت، والعمل علي البقاء، ومقاومة الفناء من قبل كافة الشخصيات المشاركة في العمل السينمائي، لينتهي الفيلم بصورة مفزعة وغريبة.
في فيلم "رجل ميت" لجوني ديب، يقدم المخرج جيم جارموش قصة "ويليام بليك" ورحلته إلي عالم الموتي والأرواح، حيث يعده من أجل هذه الرحلة صديقه المخلص "نوبادي"، والذي يقوم بدوره جاري فارمر. يبرع جارموش في تقديم رحلة بليك إلي العالم الروحاني، ويرصد عملية استعداده من أجل ذلك بشكل رائع للغاية. تأخذ الحبكة من الموت موضوعاً رئيسياً للنقاش والجدال، حيث يتبادل بليك الحديث مع نوبادي بشكل مستمر حول الموت والعالم الآخر، والصراعات المهيمنة علي البشر علي المستويين الجسدي والروحي. تتوالي الأحداث الخاصة بالفيلم بشكل سلس

وانسيابي لينتهي بمشهد ختامي شديد البراعة، حيث يرصد اللحظات الأخيرة في حياة ويليام بليك بينما يتجه إلي مصيره المحتوم المتمثل في الموت الذي لا مفر منه.

الفصل الخامس

السينما وفن الرواية

حظيت الكثير من الروايات المهمة بفرصة الظهور عبر شاشات السينما من خلال عدد من المخرجين والمنتجين المهتمين بذلك والراغبين في تحقيق المزيد من الشهرة لهذه الأعمال الروائية الجذابة. تواجه الكثير من المخاطر هذه العملية الفنية التي تتضمن تحويل الرواية إلي الفيلم؛ لأنها بالطبع تقع في مواجهة شرسة مع القراء المتأثرين بالعمل والمعجبين به والساعيين نحو رؤية عمل سينمائي يحمل قدراً عظيماً من الجودة بنفس القدر الذي تحمله الرواية. بالطبع يحمل القراء تصورات معينة في أذهانهم بشأن الحبكة، ويرغبون في رؤية هذه التصورات علي الشاشة بشكل محدد، مما يدفعهم إلي ممارسة الانتقاد الشرس بخصوص هذه الأعمال. وإذا حصلوا علي عمل سينمائي مميز بنفس القدر الذي تتمتع به الرواية، يصفقون بشدة من أجل الفيلم ويحملونه إلي قمة المجد. في روايته "اسم الوردة" (المتحولة إلي فيلم)، يحكي أمبرتو إيكو قصة الراهب غوليالمو وتلميذه أدسو، ويتتبع رحلتهما إليّ دير غامض في شمال إيطاليا المظلم ليحضرا اجتماعاً هاماً قد دُعيا إليه. بمجرد وصولهما إليّ الدير الغامض، يطلب من غوليالمو الاستفادة من

خبرته السابقة في محاكم التفتيش والتحقيق في مقتل الراهب أدالمو آملين أن ينتهي من هذه القضية في أسرع وقت ممكن قبل حضور الوفد البابوي وانعقاد الاجتماع المنتظر. للأسف الشديد، لا يتوقف الأمر عند هذه الجريمة بل تتبع بالعديد من الجرائم الأخري، والتي تؤدي بدورها إليّ المزيد من الحيرة والمزيد من تعقد الأمور. يكتب الراهب أدسو، وقد نالت منه الشيخوخة، كل ما شهده من أحداث عجيبة ورهيبة مع أستاذه الراهب غوليالمو في هذا الدير، تاركاً كتابته علي رق فريد ليتعرف الكثيرون فيما بعد علي تلك الأحداث الغريبة من خلال هذه المخطوطة العتيقة. يعتمد إيكو علي الاهتمام بالتفاصيل والإطالة في الوصف بشكل واضح. كما يعتمد علي علم السيميائيات، وهو علم العلامات والعمل علي تجميعها. نشاهد بصورة واضحة اعتماد غوليالمو علي العلامات، والعمل علي تحليلها بهدف حل القضايا المعروضة عليه، كما يستخدمها من أجل فهم الأمور وتكوين صورة متكاملة عنها. وبالنسبة لاسم الرواية "اسم الوردة"، فإن إيكو لم يعط تفسيراً واضحاً له، وقد يكون إشارة الي الفتاة مجهولة الاسم، والتي

اتُهمت بالهرطقة في الرواية، فهي الوردة المبهمة التي أدت إليّ وقوع أدسو في الخطيئة، وتملك إحساس الندم منه وسيطرته عليه حتي تخلص منه بعد فترة، وقد تكون إشارة واضحة إليّ حقيقة أن الوردة لم يبق منها سوي اسمها، واختفت كافة الأمور الجميلة التي كانت ترمز إليها. يقول إيكو في إحدي الصفحات، "كان رجال العهود الغابرة وسيمي الطلعة طويلي القامة (الآن أصبحوا أطفالا، وأقزاما)، وليس هذا إلا دليلاً من جملة أدلة أخري كثيرة، يشهد بتعاسة عالم يسير نحو الهرم. لم يعد الشباب يريد أن يتعلم شيئاً، وأصبح العلم في انحطاط، والعالم بأسره يسير رأساً علي عقب، عميان يقودون عميان آخرين إليّ الهاوية، الطيور ترمي بنفسها قبل أن تطير، والحمير تعزف القيثارة، والثيران ترقص، ومريم لم تعد تحب حياة التأمل، ومارتا لم تعد تحب الحياة النشيطة، وليا عاقر، وراحيل لها نظرة شهوانية، وكانون يتردد علي الماخور، ولوكراس يتحول إليّ أنثي. كل شيء حاد عن طريقه. والحمد لله أنني كنت قد تعلمت في ذلك الوقت من أستاذي حب المعرفة، ومفهوم الطريق القويم، الذي يبقي واضحاً حتي عندما يكون المسلك ملتوياً".

أشار البعض إليّ وجود تشابهات كثيرة بين رواية "اسم الوردة" لإيكو ورواية "عزازيل" ليوسف زيدان، لكن التشابه يكمن في فكرة المخطوطة والخوض في أمور الديانة المسيحية، ولكل رواية منهما طريقها الخاص وقصتها المميزة. وبالنسبة للفيلم المعتمد علي الرواية، يلعب شون كونري دور غوليالمو (ويليام) بينما يلعب كريستيان سلاتر دور أدسو، ويقدم العمل الفني الأجزاء الرئيسيّة للرواية بشكل جيد للغاية متجاهلاً بعض الأحداث بطبيعة الحال دون الإخلال بالقصة المحورية أو التأثير علي المجري المنطقي للأحداث. كما أنه من المعروف أن الفيلم من إخراج الفرنسي جان جواكس أنو، ويعتمد علي مشاركة جماعية فيما يخص السيناريو.

يصور العمل السينمائي الدير بكل ما فيه من أماكن شتي وأشخاص عدة، فيظهر المترجم اليوناني الذي لقي حتفه، والمسخ المتهم بالهرطقة، والفتاة المجهولة الفقيرة التي يشعر أدسو حيالها بالشفقة لاتهام محقق التفتيش لها بممارسة السحر والشعوذة والزندقة، وغيرها من الشخصيات والأماكن الهامة كالمكتبة الفريدة من نوعها. يتجاهل بشكل واضح خيالات وأوهاما

ذُكرت في الرواية واحتوت علي قدر كبير من الفنتازيا كظهور هيدرة وشياطين وأمور غرائبية أخري من هذا القبيل، وتتوافق هذه الحالة مع الميزانية المتوسطة التي تعتمد عليها العملية الإنتاجية الشاملة. في النهاية، يوضح العمل الفلسفي صراعات تلك الفترة ويتحدث عن حالات القتل الغريبة التي تحدث في هذا الدير.

يروي أيضاً الكثير عن الشيطان وخداعه وعن حقيقة أن الإنسان هو من يستدعي شيطانه، لذا وجب علي ابن آدم أن يتعلم كيفية الوصول إليّ الطريق القويم والحفاظ عليه، وهو ما يتحدث عنه أدسو كثيرا ناقلا عن معلمه غوليالمو. عندما نتطرق إلي رواية ميلان كونديرا الأشهر والتي تحمل عنوان "كائن لا تُحتمل خفته"، نجد أنفسنا بصدد التعامل مع بيئة فلسفية غنية مبنية علي التعرض إلي الخفة التي يتعامل بها توماس مع الأمور، فلا يأخذ شيئاً بمحمل الجد، ويقلل من شأن كل شيء، وينتقل من علاقة إليّ أخري بشكل عشوائي دون أي اعتبارات. يعمل جراحاً بإحدى المستشفيات ويشتهر بين أقرانه بكونه زير نساء من الدرجة الأولي. يتنقل عبر الأمور بخفة شديدة، خفة لا تتحملها تيريزا؛ المصورة

الفوتوغرافية التي تزوجها في نهاية المطاف. رواية للتشيكي ميلان كونديرا، تعتمد بشكل رئيسي علي أربع شخصيات؛ توماس وتيريزا وسابينا وفرانز. تدور حول توماس وعلاقاته المتعددة مع الكثيرات من بينهن زوجته تيريزا، وعشيقته الفنانة سابينا والتي تشتهر بقبعتها المميزة. أما البروفيسور فرانز، فإنه يمثل المحبوب المستقبلي لسابينا، والتي تتخلي عنه فيما بعد بعدما يتخلي عن زوجته وعائلته من أجلها. تحاول تيريزا اختبار تلك الخفة التي يتكيف معها توماس من خلال مغامرة عاطفية سريعة، لكنها تفشل في تحقيق ذلك، لأنها خفة لا تُحتمل، خفة لا تتقبلها تيريزا التي تسعي باستمرار نحو الاستقرار والاطمئنان. فكلما حاول الإنسان أن يصبح خفيفاً وأن يتخلص من كل المسئوليات التي تحيط به، أدت به هذه الخفة إليّ إحساس غريب بعدم وجوده وشعوره بنقص تجاه كينونته وقيمته الوجودية. في النهاية، يسافر توماس مع تيريزا إلي الريف، وهناك تمنحهما بساطة العيش والتكرار المستمر للعادات سعادةً عميقةً لا تُوصف. وبالنسبة للفيلم، فهو من إخراج فيليب كوفمان، ومن بطولة دانيل داي لويس وجوليت بينوش ولينا

أولين. ويقدم المخرج القصة بشكل واضح للغاية مهتماً بعرض الاضطرابات الكثيرة في حياة توماس وعلاقاته المتعددة، ويركز علي علاقته الغريبة بتيريزا. كما يعرض الشخصيات بعمقها وصفاتها المميزة التي ذُكرت في الرواية. يهتم الفيلم بعرض ملابسات الهجوم العسكري السوفيتي علي دولة التشيك وصراعات هذه الفترة والتنقلات المستمرة في حياة توماس وتيريزا كنتيجة لذلك. وفي النهاية، تتوالي الأحداث الخاصة بالعمل الفني لتنتهي بشكل هادئ، ومثمر. وقد نجد عملية تجسيدية مختلفة عبر التطرق إلي رواية "صيف حار" للمؤلف الفرنسي سباستين جابريسو[1] والتي تم تحويلها إلي فيلم سينمائي مميز في عام 1983 من إخراج المخرج الفرنسي جين بيكر. في هذا الفيلم الأنيق، تلعب إيزابيل أدجاني دور الفتاة الغامضة التي تحل علي البلدة الصغيرة القابعة في جنوب فرنسا مع والدتها ووالدها بينما تحيط بهم حالة من الغموض والريبة. تتوالي الأحداث لتتزوج الفتاة من بن بون؛ الشاب الطيب المعروف بشكل واسع بين أبناء البلدة الصغيرة، وتتحرك الكادرات السينمائية ضمن إطار سريع راصدةً الأجواء

المثيرة المحيطة بالفتاة منذ وصولها للمدينة، وتنكشف الحقيقة في النهاية لتصبح الصورة جليةً للغاية ولتظهر الكثير من التفاصيل الصغيرة كاشفةً حقيقة الفتاة وكل ما يتعلق بها. يقدم المخرج جان بيكر إخراجاً جيداً مصحوباً ببيئة مفعمة بالإثارة والتشويق، ويحيط فيلمه بجماليات الجنوب الفرنسي الآسر والساحر، وفِي نفس الوقت تطل أدجاني علي الشاشة بحضورها الرائع في حلة مميزة لاعبةً دور الفتاة الغريبة "إيلي" بشكل مميز وأنيق، ويلعب آلان سوتشو دور "بن بون" ليضيف للشخصية الكثير من التفاصيل المميزة، وليخلق لها بعداً فنياً من طراز فريد. تمثل العلاقة بين إيلي ووالديها موضعاً حساساً وهاماً ضمن الإطار العام للفيلم والقوام الكلي للحبكة، ويعتمد المخرج علي عنصر التشويق بشكل أساسي، كما ينجح في منح المشاهد المفاجأة بين الحين والآخر، ليزيد من حماسته مع كل كادر جديد. في مركز الفيلم، ترقد القوة التمثيلية لأدجاني والتي تجمع بين الإثارة والأداء المميز في نفس الوقت، وهو الأمر الذي يصعب توافره مع الكثير من الممثلات حول العالم عامةً وأوروبا خاصةً. بالطبع، يستحق البناء التدريجي للأحداث

والتوتر الناجم عنها التصفيق والإشادة، حيث تتحرك ببطء في البداية لتتوالي فيما بعد بشكل انسيابي ومناسب، ولينتهي الفيلم بشكل مقنع وجنوني في نفس الوقت ضمن إطار عام يعتمد في بنائه علي الدراما وقليل من الفكاهة التي لا تعيق من التوتر الدرامي ولا تقف كحاجز للصراع الناجم عن الحبكة الكلية للفيلم. أيضاً من الأفلام المأخوذة عن روايات هامة، فيلم "البرتقالة الآلية" للمخرج الأمريكي المخضرم ستانلي كيوبريك، والذي يُعد واحداً من أكثر الأفلام وحشيةً وجنوناً في تاريخ السينما. يعرض الفيلم العنف الشديد المصاحب لحياة الشباب متمثلاً في شخصية "أليكس"؛ الشاب العنيف الذي يترأس عدداً من أصدقائه المتجولين في شوارع لندن، والناشرين للاضطراب والفزع بين الناس في كل مكان تطأه أقدامهم. تلقي الشرطة القبض علي أليكس في النهاية بعد أن يغدر به أصحابه ليقع بين أيدي رجال العدالة، وليتم وضعه في نظام إصلاحي شامل بهدف إعادة تأهيله وعلاجه وتخليصه من الشرور المسيطرة عليه، وليُطلق صراحه في النهاية بينما تتقدم الأحداث بشكل غريب للغاية ضمن إطار

جنوني ومريب، حيث يعاود التفكير في أمور الشر بأكملها من سرقة، ونهب، وقتل، وفسوق، وفجور، ويبدأ في إعداد خطة جديدة لنشر العنف في الأرجاء. وبالنسبة للرواية، يراجع أليكس نفسه في الفصل الأخير ليتخلي عن خطته الجديدة ويري أخطاءه ويتخلص من نواياه السيئة التي عاودته من جديد. أما بالنسبة للفيلم، فإنه يعتمد علي النسخة الأمريكية من الرواية، والتي حذف منها الفصل الأخير لتنتهي الحبكة بسوداوية، حيث طلب الناشر الأمريكي من أنطوني برجس "الكاتب" حذف الفصل الأخير لأنه رأي أن الجمهور الأمريكي لن يتقبل لحظة التغير السلوكي التي راودت شخصية أليكس. فلن يتقبل الجمهور فكرة تخليه عن شروره الداخلية، وعودته لطريق الخير، وكونه جزءا فعالا ومثمرا في المجتمع بعد كل هذه الفصول من نشر العنف والفوضى في الأرجاء. ونضيف إلي كل هذه الأفلام المعتمدة علي روايات شهيرة فيلم "حيوانات ليلية" الصادر في عام 2016، والمعتمد علي رواية "توني وسوزان" للكاتب الأمريكي أوستن رايت. ففي عمله السينمائي الثاني، يقدم مصمم الأزياء والمخرج الأمريكي توم فورد

قصة سوزان مورو "إيمي آدامز"؛ السيدة الثرية والمعروفة في أرقي الأوساط بحبها للفن وحرصها علي عرضه في أبهي صوره من خلال معرضها الفني الكبير، والذي تتدافع عليه الحشود باستمرار للاستمتاع بالمعروضات الفنية المتنوعة الموجودة بداخله. تتلقي سوزان من زوجها السابق إدوارد "جيك جلنهال" نسخةً أوليةً من أحدث رواياته، والتي ينوي طرحها للجمهور العام في أقرب فرصة ممكنة ليسألها عن رأيها في الرواية وانطباعها الأول عنها. تحمل الرواية عنوان "حيوانات ليلية"، وتتحدث عن أحداث وحشية تتعرض لها عائلة مسافرة من قبل مجموعة من قطاع الطرق المنتشرين في الأرجاء، لتتوالي الكادرات بعد ذلك راصدةً محاولات الأب طوني "جلنهال" الانتقام منهم بعد اغتصابهم وقتلهم لزوجته لورا "آيلا فيشر" وابنته إنديا "إيلي بامبر"، ويساعده في ذلك الشرطي المحتضر "مايكل شانون" والمسئول عن المنطقة موطن الأحداث. تشرع سوزان في قراءة الرواية مباشرةً بعد مغادرة زوجها هتون مورو "أرمي هامر" المنزل وتوجهه لتأدية بعض الأمور الخاصة بعمله في ولاية أخري. تتأثر بالرواية بشدة

وتتفاعل مع أحداثها بشكل غير عادي لتندمج معها بصورة كلية ولتستدعي ذاكرتها الكثير من الذكريات المشتركة بينها وبين إدوارد. يعرض فورد فيلمه معتمداً علي اللقطات المتبادلة بين أحداث الرواية نفسها من جهة، والذكريات الجامعة بين سوزان وإدوارد من جهة أخري لينجح في النهاية في صنع فيلم سينمائي جيد ومميز. يقدم جلنهال أداء مميزا مدعوماً جنباً إلي جنب مع الأداء الهادئ والرائع لإيمي آدامز والأداء الحماسي لشانون، وفِي نفس الوقت يقدم فورد إخراجاً جيداً معتمداً علي السيناريو المستمد من رواية أوستن رايت "توني وسوزان". تتوالي اللقطات السينمائية لينتهي الفيلم بمشهد ختامي هادئ مسبوق بمشاهد حماسية مشتعلة، لينخفض بالنغمة الكلية في نهاية المطاف مطفئاً نيران الانتقام ومقدماً الحل الأمثل والأفضل ومضفياً علي الحبكة المزيد من الإثارة والتشويق.

الفصل السادس

السينما وفنون أخرى

يهتم السينمائيون بالتعرض إلي الكثير من الفنون التي تتشابك مع ميولهم الفنية وتتضافر معها، حيث تكمل بعضها البعض لتخلق في النهاية كادراً فنياً عظيماً وجذاباً. ومن هذه الفنون، فن الباليه، والذي يقدمه المخرج لوكا جواداجنينو ممزوجاً بالرعب في فيلم "ساسبيريا"، حيث تتجه الأمريكية سوزي (داكوتا جونسون) إلي برلين لتدرس بإحدي أكاديميات الباليه المرموقة هناك. تقابل الكثير من الطالبات الملتحقات بالأكاديمية، وتبدأ في التعرف عليهن لتتعرف لاحقاً علي طبيعة الأكاديمية وحقيقتها. تلعب تيلدا سونتن أكثر من شخصية بشكل جيد، بينما تظهر موريتز في دور صغير كواحدة من طالبات الأكاديمية، وتقدم جونسون أداء جيداً مدعومةً بإخراج جيد من جواداجنينو، بينما تتسلل إلي الفيلم لحظات عديدة من الاضطراب والتوتر والسوداوية والظلام. تتعقد الأحداث في إطار من الرعب والتشويق، لتتفجر دوامات الشر المتتابعة، والتي تلحق برواد الأكاديمية مهلكةً إياهم الواحد تلو الآخر. يفتك بهم الموت ويحاصرهم من كل جهة ليحيطهم بالفزع والخوف والهلاك. ويستسلم الكثير منهم لهذا الكابوس

المفزع، بينما تنجح البقية في النجاة والاستيقاظ. وقد نجد فن المسرح مقدماً عبر السينما من خلال فيلم "فينوس في الفراء" للمخرج الهام رومان بولانسكي، حيث يقدم فيلماً ذا طبيعة مختلفة مقارنةً بما قدم سابقاً. تتناول الحبكة قصة ممثلة صاعدة ومحاولاتها المستمرة لإقناع مخرج شهير بإسناد دور لها في مسرحيته الجديدة "فينوس في الفراء". ويعتمد الفيلم علي مسرحية بنفس الاسم للكاتب الأمريكي ديفيد إيفيس، والتي ترتبط برواية مازوخ الشهيرة "فينوس في الفراء" والتي صدرت في عام ١٨٧٠ كجزء أول ضمن سلسلة مطولة. يعرض العمل الفني محاولات الممثلة المتكررة وسعيها الدائم لإقناع المخرج بإدراجها ضمن فريق العمل. وتظهر شخصية سينيه باستمرار في تجارب أداء تجمع بينها وبين شخصية ماتيو، بينما يُعرض الفيلم بأكمله داخل مسرح كبير ومضيء. يقع الرجل كفريسة بين يدي فينوس (إلهة الجمال عند اليونان) مسيطرة عليه بشكل كلي. وتنتهي شخصيته التي جُذب انتباهها في البداية إلي حالة من الهوس غير العادي، والجنون غير المبرر. يقدم رومان بولانسكي إخراجا رائعا مدعوماً بأداءات

حماسية من قبل سينيه وماتيو، ويتميز الفيلم بعمل جيد فيما يخص الإضاءة، ويتضمن مجهوداً مثمراً وحماسياً للغاية. وبالنسبة لاهتمام السينما باللوحات الفنية، فمن الممكن أن نأخذ الفيلم الفرنسي "الشقراء عارية الصدر" كمثال واضح علي ذلك، حيث يتناول قصة أخين وسعيهما لسرقة إحدي لوحات إدوارد مانيه الشهيرة من داخل أحد متاحف فرنسا ومحاولتهما الحصول علي اللوحة دون أن تلتفت حارسة المتحف "روزالي" إلي ذلك، والتي تؤدي دورها فاهينا جيوكانتي. يتمكن الأخ الصغير من الحصول علي اللوحة، لتلاحقه الفتاة محاولة استرجاعها والقبض عليه لكنها تفشل في ذلك لتجد نفسها غير قادرة علي الفرار منهما. تتقدم الأحداث لتنتج حالة من المناوشات بين الفتاة والأخين ضمن إطار غريب، لكنها تتحالف معهما في النهاية، وتصبح جزءاً من أسرتهما الصغيرة، والتي تتنقل باستمرار علي مركب صغير ماخرةً عباب النهر. في الحقيقة، لا يمتلك الفيلم بصمة سينمائية هامة أو شيئاً من هذا القبيل لكنه عمل خفيف قد يستمتع به المشاهد كجولة سريعة قادرة علي التطرق إلي أمور عديدة من بينها الطبيعة الخلابة التي

يهتم بها المخرج، والتي تمثل جزءاً أصيلاً من عادات السينما الفرنسية، والتي اعتمدت دائما عليها كعامل جوهري وأساسي لبناء الفيلم السينمائي. قد تشمل الجولة أيضاً الحديث عن لوحة مانيه الشهيرة "الشقراء عارية الصدر"، والتي صدرت في عام ١٨٧٨، كجزء من الحركة الفنية الشهيرة المسماة بالانطباعية.

يأخذنا الفيلم للحديث عن اللوحة الفنية بشكل شيق وجذاب ليعبر بنا إلي الفن الانطباعي وكل ما يتعلق به من جمال ومتعة، وليحلق بنا إلي أعالي السماء مازجاً الكثير من الأمور مع بعضها البعض، ليقدم في النهاية كادراً فنياً جميلاً وشيقاً.

الفصل السابع

السينما والصراع الداخلي

تهتم الكثير من الأفلام السينمائية بعرض الصراعات النفسية الداخلية المسيطرة علي البشر والمؤثرة فيهم، والتي تنجم عن الصدمات والمشاكل والأزمات التي تسيطرعليهم في فترات حيواتهم المختلفة خاصةً في فترة الطفولة، والتي تُعتبر المشكل الرئيسي لحيوات البشر المختلفة والمتنوعة. من الأفلام التي تظهر صراعات الإنسان وحنينه إلي الماضي، فيلم "المواطن كين"، حيث يُعد هذا العمل الكلاسيكي الهام الإنجاز الأكثر لمعاناً في تاريخ أورسون ويلز، والأكثر ارتباطاً به. لقد كان تشارلز فوستر كين علي سرير الموت حينما لفظ آخر كلماته "روزباد" ليثير الغموض والريبة حول هذه الكلمة، ولينتج عنها الكثير من المحاولات المتفانية من قبل مجموعة من الصحفيين والمراسلين بهدف التعرف علي معناها والتمعن في تاريخ الرجل الطويل والمتقلب. وصل كين إلي القمة مسيطراً علي عالم الصحافة وباسطاً نفوذه علي كل ما يحيط به من مؤسسات صحفية واستديوهات ومصانع. لم يكتف الرجل بذلك بل انخرط في عالم التباهي والتفاخر مشترياً الكثير من التحف الفنية الثمينة والتماثيل الأوروبية العريقة بملايين الدولارات

ليتباهي بها بين أقرانه وأصدقائه. وبعد كل هذا المجد، هبط الرجل إلي القاع. بعد أن اكتسب كل شيء تمناه وحاز كل أمر اشتهاه، فقد كل شيء. إنها طبيعة الحياة دون شك، والتي تتلخص في تمكن الفناء بعد تشبع الأذهان بوهم البقاء. لكن ما حقيقة الكلمة التي لفظها قبل أن يلتقط أنفاسه الأخيرة؟ .. تتوالي المشاهد وتُعرض الأحداث معتمدةً علي نمط "الفلاش باك" لتُطرح الكثير من اللحظات المثيرة في حياة الرجل، وليخبرنا المشهد الختامي الرائع بحقيقة كلمة "روزباد". إنه المزلاج الخاص به في طفولته، والذي كان يمتطيه حينما جاءه الرجل الذي أُرسل معه بعيداً عن كولورادو بناء علي طلب من أمه، ليدرس ويتعلم ويحصل علي حياة أفضل، بعد أن نال الوالدان نصيبهما من الثراء الناجم عّن مناجم الذهب بالولاية في تلك الفترة. إن "روزباد" إشارة صريحة إلي أجواء الحب والبراءة التي شملته في صغره، وافتقدها في كبره لتشبعه بالمادية والوحشية ومجابهته لشراسة الحياة. تذكر الرجل، وهو علي فراشه ملتقطا أنفاسه الأخيرة، طفولته السعيدة ومزلاجه الصغير وحياته الدافئة التي نعم بها في صغره وطفولته، والأمر

سيان بالنسبة لكل إنسان، حيث تمثل الطفولة أجمل مرحلة في حياة الإنسان بكل تأكيد. وبالنسبة لفيلم "لا رجوع فيه" الصادر في عام 2002، يقدم المخرج الأرجنتيني جاسبار نو عبره مأساةً إنسانيةً صادمةً وجريمةً خسيسةً، اُرتكبت في حق الفتاة الباريسية الجميلة أليكس، والتي تؤدي دورها مونيكا بيلوتشي بينما يظهر معها في نفس الفيلم زوجها السابق فينسنت كاسل لاعباً شخصية ماركوس، صديقها الجديد. يبدأ الفيلم بالنهاية وينتهي بالبداية معتمداً علي نمط "التعاكس الزمني" بشكل واضح. تتجول الجميلة أليكس مع صديقها الحالي ماركوس وصديقها السابق بيير ليتنقلوا جميعاً بين البارات والمطاعم المختلفة المنتشرة في أرجاء باريس. تنقلب الأحداث رأساً علي عقب في ليلة مفجعة وحزينة. فبعد الانتهاء من الحفل، وفِي طريق العودة، تُغتصب الفتاة وتُضرب من قبل الجاني ليهرع إليها صديقاها بينما تلم بهما حالة من الصدمة والاضطراب. يسعي كل من ماركوس وبيير للانتقام، ويتعاونان معاً ليصلا إلي المغتصب في نهاية المطاف. ويُعد الفيلم واحداً من أكثر الأفلام اضطراباً علي الإطلاق، وبأجواء سوداوية

مظلمة وبأضواء عشوائية حمراء، يتلاعب جاسبر بالمشاهد ليضيف المزيد من الفزع والاضطراب والإثارة إلي الحبكة بشكل عام. تقدم بيلوتشي أداء جيداً متأنقةً كعادتها، ويظهر إلي جانبها الفرنسي المتألق فنسنت كاسل بحركاته الحماسية المعهودة. بالطبع يركز العمل الفني علي فكرة الانتقام سابراً أغوار تلك النفوس المنهكة، والتي انقلبت أوضاعها بين ليلة وضحاها. وفِي مشهد مفزع، يظهر رجل بشكل فجائي وعشوائي ليقول لماركوس: "ما يحدث للآخرين من الممكن أن يحدث لك أيضاً". هنا نجد الصراع الداخلي متمثلاً في الشخصيات المنهكة، والتي عانت الكثير علي مدار الأيام والليالي. وقد نجد المزيد من الصراع الداخلي متمثلاً في فيلم "التانجو الأخير في باريس"، حيث يتناول المخرج الإيطالي برناردو برتلوتشي في هذا العمل المميز العلاقة الغريبة بين بول وجان، والتي تقوم علي المتعة الحسية فقط بعد أن اشترط بول ذلك كما اشترط عدم ذكر اسم كل منهما للآخر. في طريقهما للعثور علي شقة تسكنها، تقابل جان (ماريا شنايدر) رجل الأعمال الأمريكي بول (مارلون براندو) المنغمس في حزنه الشخصي، وعالمه الانعزالي

المليء بالاضطراب والتردد. انتحرت زوجته مؤخراً بشكل مفجع لتتركه أسيراً للحزن والكآبة، ولتتسلل إليه الكثير من الذكريات مضيفةً إلي ذهنه المنهك الكثير من الاضطراب والتشويش والقلق. يقدم مارلون براندو شخصية بول بمهارة فائقة، وبأسلوبيته العظيمة، يمنحها بعداً فنياً من الطراز الأول خالقاً شخصيةً مضطربةً من الدرجة الأولي. عانت شنايدر الكثير من الاضطراب بعد أدائها لدور جان، حيث أنها قد تعرضت لقسوة النص وإباحيته المفرطة، والتي أثرت عليها نفسياً فيما بعد. يتخلص بول من اضطراباته الشخصية وصراعاته الداخلية من خلال الجنس متخلياً عن الجزء العاطفي ومتجاهلاً أهميته تماماً بعدما أظلمت روحه لفقدانه زوجته المنتحرة مؤخراً. تندرج شخصيته تحت بند الشخصيات السيكوباتية بصورة واضحة، وببراعة براندو، تحلق الشخصية في السماء بقوة نابعة من الأسلوبية في قمتها. يقدم برتلوتشي إخراجاً بارعاً كعادته مدرجاً بعضاً من التفاصيل الشخصية من حياته وحياة براندو في الفيلم، حيث أن هذا العمل الفني من إخراجه وكتابته، وقد قدم الفكرة الأولية له بنفسه

وعرضها علي براندو ليوافق الأخير مقدماً أداء من الطراز الرفيع.
أيضاً من الممكن أن نرصد الصراع الداخلي المتمثل في فيلم "الجمال العظيم" للمخرج الإيطالي باولو سورنتينو ومن بطولة توني سرفيو وسابرينا فريللي ضمن نفس الإطار. في هذا العمل الفني، يرصد سورنتينو الصدمة التي يتلقاها الصحفي اللامع "جيب جامبرديلا" حينما يبلغ عامه ال٦٥. تقف روايته الناجحة والوحيدة خلف أهميته في المجتمع المثقف بروما، كما تُعتبر ركيزته الرئيسية، والتي تسمح له دائماً بحضور صالونات الثقافة المختلفة، وحلقات النقاش المميزة والمنتشرة في أنحاء روما. قد لا تُؤخذ الصدمة بالمعني الحرفي للكلمة، لكنها تتلخص في نظرته الفجائية لمجريات الأمور الخاصة بحياته، وفِي تأمله لأعوامه الماضية وشبابه المنصرم. ينظر جامبرديلا إلي الوراء ليتأمل عبثه الدائم طوال حياته، والمتمثل في حضوره للكثير من الحفلات ولهوه في الكثير من البارات بينما لم يتمكن سوي من تأليف رواية واحدة، والتي حالفه الحظ أن تكون مصدر جذب أنظار الجميع إليه طوال هذه السنين. تتغير أولويات الرجل في هذه السن، يسعي للهدوء

والراحة والسلام النفسي، لا يسعي نحو المزيد من المغامرات، لا يريد سوي السكينة والطمأنينة. يقدم سورنتينو إخراجاً عظيماً للغاية مقتبساً الكثير من المايسترو الإيطالي فيدريكو فيلليني ومعتمداً علي موهبة توني سرفيو المميزة وأداء سابرينا فريللي الجيد في خلق شخصيات رائعة وعميقة. كما يعتمد علي إظهار جمال روما ومناطقها الأثرية بشكل رئيسي طوال الفيلم، وفي النهاية تتوالي اللقطات الختامية للعمل بشكل أنيق بينما يعتمد علي "الفويس أوفر" ناقلاً وجهة نظر ورؤية الشخصية الرئيسية "جيب جامبرديلا"، والتي عانت من أهوال الصراعات النفسية الداخلية العديدة والقاسية.

الفصل الثامن

السينما ولغة الحوار

تمثل لغة الحوار السينمائي أمراً هاماً وضرورياً لخلق فيلم مميز وجذاب، حيث تعتمد الأفلام العظيمة علي حوارات مميزة ودافئة بكل تأكيد. كما يعمل السيناريو المُتقن علي خلق بيئة حماسية وشيقة، ليحصل المشاهد في النهاية علي جمل رنانة ومؤثرة. نجد السيناريو المميز ولغة الحوار الجذابة متمثلين في الكثير من الأفلام العالمية مثل فيلم "سينما باراديس" للمخرج جوزيبي تورناتوري، حيث يقدم هذا العمل الرائع رصداً بارعاً لذكريات مخرج سينمائي كبير وحنينه لماضيه الدافيء. يبدأ الفيلم بوصوله لمنزله الفخم، بينما يرد علي الهاتف الذي ظل يرن طويلاً، ليأتيه خبر وفاة ألفريدو، وليبدأ حينها في استرجاع ذكرياته المفعمة بالدفء والحب والحنان. كان محباً للسينما في صغره، وكان مهووساً بها، وقد رافق ألفريدو "البروجيكشنست" أثناء عمله كثيراً، حيث كان يعمل بدور العرض الشهير وقتها "سينما باراديس". وقد عمل توتو "المخرج صاحب الذكريات" لفترة طويلة بدلاً من ألفريدو بعد أن أُصيب بإعاقة جسيمة من جراء حريق بدور العرض، والذي جُدد لاحقاً بواسطة أحد رجال البلدة الأثرياء. نشأت بينهما علاقة مثمرة

ومفعمة بالدفء والحنان، والصراع أحياناً، وكان ألفريدو منقذاً له دائماً في الكثير من المواقف التي جمعت بينه وبين أمه.

عاد سالفاتوري دي فيتا "توتو" إليّ أمه في النهاية ليسير في جنازة ألفريدو، وليقابل كل الشخصيات التي ألفها في الماضي حينما كان طفلاً صغيراً. حالة من النوستالجيا يرصدها المخرج تورناتوري ببراعة فائقة، بينما يغمر فيلمه بموسيقي خالدة للرائع موريكوني، مدعماً كادراته بأداءات جميلة وحركات أنيقة. قدم تورناتوري هذا الفيلم في عام ١٩٨٨، وحقق نجاحاً كبيراً من خلاله، كما قدم في عام ٢٠٠٠ فيلم "مالينا" لمونيكا بيلوتشي محققاً نجاحاً مشابهاً، ليصبح الفيلمان ركيزتين أساسيتين لكاريره الأنيق. كثيراً ما استعان تورناتوري بموريكوني في أفلامه، ليقدما لنا أفلاماً أنيقةً مفعمةً "بساوندتراكس" شديدة البراعة وقوية التأثير وخالدة في الأذهان.

فيلم بارع يستحق المشاهدة والتأمل، وتجربة سينمائية ممتازة قادرة علي دمج المشاهد مع الحبكة بجدارة ومهارة فائقتين. ومن الأفلام الأخري التي تبرع في استخدام لغة الحوار، فيلم "الليل" لأنطونيوني، حيث يتناول العمل الفني يوماً في حياة الصحفي

جيوفاني بونتانو وزوجته ليديا، وتعتمد الحبكة علي فكرة "الخيانة" بشكل رئيسي، وما يصاحبها من تدهور العلاقة بينهما نتيجة لعدم إخلاصهما لبعضهما البعض. يقدم أنطونيوني إخراجاً بارعاً مصحوباً بتصوير متميز للغاية، بينما يبرع فريق التمثيل (ماسترورياني، ومورو، وفيتي) بشكل غير عادي في تجسيد الشخصيات، وما يصاحبها من اضطراب وتوتر. يبدأ الفيلم بزيارة جيوفاني وزوجته لصديقهما العليل بإحدي المستشفيات لتتوالي الأحداث علي مدار يوم واحد فقط، وفي مشهد مطول، تسير ليديا في شوراع ميلانو بينما تغمرها حالة من التأمل والتدبر والتفكير في مجريات حياتها، ماثلةً في العديد من الكادرات الاستثنائية، والتي يلتقطها "فينانزو" بمهارة فائقة بتوجيه من "أنطونيوني" دون شك. تظهر مونيكا فيتي في منتصف الفيلم مجسدةً شخصية فلانتينا، والتي تضيف المزيد من التعقيد إلي الأجواء وتشعل من فتيل الحبكة لتصل إلي الذروة ولتهدأ بعدها بمشهد ختامي مميز وجامع لكل من مارسيلو ماسترورياني وجان مورو في حديقة شاسعة، لتظهر كلمة (النهاية) وليُسدل الستار.

فيلم بارع عن زوجين خائنين، وإحساسهما بالذنب كنتيجة لذلك، وسعيهما للاعتراف لبعضهما البعض، ليطلب كل منهما من الآخر العفو والسماح في نهاية المطاف، ولتعود المياه إلي مجاريها في النهاية بعد الحصول علي الكثير من الكلمات الرنانة والحوارات الجذابة الدائرة بين الزوجين. أيضاً، من الممكن أن نجد الكثير من الحوارات الشيقة مجسدة في فيلم "طرطشة أكبر" للمخرج لوكا جواداجنينو، حيث يتناول العمل قصة روك ستار تدعي ماريان (تيلدا سونتن)، وصديقها بول (ماتياس شونارتس)، وعطلتهما معاً بعد أسابيع طويلة من العمل الشاق، ليظهر صديقها السابق هاري (رالف فاينس) وابنته بنلوبي (داكوتا جونسون) علي الساحة، ليحدثا الكثير من الاضطراب وليعكرا صفو النزهة. تتعقد الأحداث، وتتوالي في إطار تشويقي ومثير لينتهي الفيلم بغرق هاري في المسبح بعد أن ساهم بول في ذلك. تنتهي الرحلة، وتعود بنلوبي إلي موطنها بينما يشرع بول وماريان في الرحيل أيضا. يخبر بول ماريان عن الحقيقة، وأنه قد أغرق هاري دون قصد منه، وتقرر ماريان المضي قدماً وعدم إخبار الشرطة، لينتهي الفيلم دون

أن يُكشف عن أمر بول، بعد أن تتعقد الأحداث في الكادرات الأخيرة للعمل. بالطبع، شاهدنا أفكاراً مسبقةً شبيهةً لفكرة هذا الفيلم مثل الفيلم الفرنسي "حمام السباحة" لشارلوت رامبلنج ولودفين ساجني، لكن يُعد فيلم "البسين" لآلان ديلون ورومي شنايدر وجين بركن الأساس لكل هذه الأفكار، ويندرج كل ما جاء من بعده تحت بند المقتبسات. قد تبدو كلمتا "طرطشة أكبر" مألوفتين للكثيرين من محبي الفن والرسم بالتحديد، حيث تحمل أشهر لوحات فنان البوب البريطاني ديفيد هوكني هذا الاسم. وربما تدخل بعض لحظات الفيلم في إطار المبالغة التمثيلية، وهو ما يُؤخذ علي رالف فاينس أحياناً لكنها قد تُبرر ضمن سياق آخر يتمثل في محاولته إدراج قدر من الإثارة والتشويق والحركة ضمن الإطار العام للفيلم. وبالنسبة للفيلم الفرنسي محكم السيناريو "تحت شمس الشيطان"، فإنه يتناول قصة راهب يدعي دونيسان (جيرارد ديبارديو) والصراعات التي يواجهها في عالم مليء بالشر والأفعال الشيطانية. ففي رحلته عبر الغابة، يقابل شيطاناً متجسداً في صورة إنسان، ليصيبه بالمزيد من الحيرة والاضطراب. وفِي رحلة

أخري، يقابل دونيسان فتاة تدعي موشيتي (ساندرين بوني) لتخبره عن إردائها لصديقها بشكل غريب دون قصد منها، لتنتهي قصة الفتاة بشكل مآساوي هي الأخري. تنشأ علاقة روحانية عجيبة بينه وبين الفتاة الآثمة، لتنتهي بعد ذلك في إطار مليء بالريبة والتشويق. يتحدث دونيسان كثيراً عن الشيطان وشروره وتأثيره علي البشر وإغوائه لهم. إنه يكمن بداخلهم وينمو بإزدهار دون توقف، إذا سمحت له نفوسهم الضعيفة بذلك وإذا لم يتحلوا بالقوة اللازمة لمجابهته والتخلص من شروره وإغواءاته. الفيلم من إخراج موريس بيا، وقد رُشح لسيزار، وحصل علي السعفة الذهبية كأفضل فيلم سينمائي وقتها، ومن المعروف أنه مبني علي رواية شهيرة بنفس الاسم، كما أنه يتناول موضوعات الروحانية، واللاهوت، والعلمانية، والغموض، وعلاقة الإنسان بالإله بشكل رئيسي. الجدير بالذكر أن الرئيس الفرنسي وقتها فرانسوا ميتران قد كرم كل صناع العمل، وأكد علي حيوية السينما الفرنسية ودورها الفعال في تاريخ السينما بشكل عام. ويأتي اهتمامه بالفيلم كنتيجة منطقية لحقيقة أنه قد قطع الغياب الطويل للفيلم الفرنسي بشكل

عام كفائز بجائزة السعفة الذهبية، فقد فاز العمل الفني الفرنسي"رجل وامرأة" بالجائزة في عام ١٩٦٦، وها هو فيلم "تحت شمس الشيطان" يعيد الأمجاد بعد غياب قد تجاوز العقدين.

وفي النهاية، ينجح العمل السينمائي في نسج العديد من الحوارات الشيقة والجذابة، ويبرع في خلق لغة مميزة للحوار معتمداً علي السيناريو البارع والفكرة الأنيقة الخاصة بالإطار الشامل.

الفصل التاسع

السينما والتوثيق

تعمل السينما علي توثيق الكثير من الأحداث والإشارة إليها من خلال وسائلها المتعددة، ويعتمد المنتجون علي الأفلام الوثائقية من أجل توثيق معلومات محددة وقصص شهيرة، لكنهم قد يعمدون إلي الإنتاج السينمائي الكامل بغرض الانتشار والوصول إلي أكبر عدد ممكن من المشاهدين خاصةً إذا كانت القصة أو الفكرة معروفتين علي نطاق واسع. من الأحداث المؤثرة في المجتمع الأمريكي مقتل مغنيي الراب المعروفين توباك شاكور وبيجي خلال العقد الأخير من القرن العشرين، وقد تم توثيق هذه الأحداث عبر الكثير من الأفلام السينمائية، ليصدر مؤخراً فيلم جديد بعنوان "مدينة الأكاذيب" مجسداً هذه القصة ومحاورها بشكل ممتاز وعظيم. يقدم المخرج براد فرمان الصراع المتعلق بمقتل كل من توباك شاكور وبيجي، ومحاولات المحقق راسل بول "جوني ديب" والصحفي جاك جاكسون "فورست وايتكر" التوصل للمتسببين في مقتلهما. لا يتوقف الفيلم عند هذه النقطة فحسب، بل يرصد أيضاً الفساد القابع بين عدد من ضباط الشرطة العاملين بشرطة لوس أنجلوس. كما تعرض الحبكة عدداً من

الحوادث العرضية القائمة بين البيض والسود في تلك البلاد وقتها.
في عامه ال٢٥، قُتل مغني الراب الأمريكي توباك شاكور وسط أجواء مليئة بالاضطراب والريبة، ليُقتل بعدها بيجي في عامه ال٢٤، ولتُفتح التحقيقات بكثرة حول القضيتين بشكل غير مسبوق، ولتُغلقا في النهاية دون الوصول إلي إجابات محددة أو نتائج منطقية. عمل راسل بول علي التحقيقات الخاصة بمقتل بيجي كما عمل في الإطار الخاص بمقتل أحد الضباط علي يد ضابط آخر في أحد شوارع لوس أنجلوس، لتتكاثر الأقاويل بعدها ولتتوالي التحقيقات دون الوصول إلي إجابات واضحة.
يهتم المخرج بعرض الفساد القابع في قسم شرطة لوس أنجلوس، كما يعرض الفضيحة الشهيرة الخاصة به، والتي شملت ٧٠ من ضباط الشرطة، لينتهي الأمر بإدانة بعضهم، وإيقاف البعض الآخر، ولتصبح هذه الفضيحة المعروفة "بفضيحة رامبرت" واحدةً من أكبر الفضائح في تاريخ الشرطة الأمريكية. يركز الفيلم علي العلاقة المتطورة والوطيدة بين راسل وجاك، ويعرض المحاولات المتفانية من قبل كل منهما للوصول إلي الحقيقة بعد غلق

القضية لفترة مطولة. يقدم ديب أداء بارعاً للغاية مدعوماً بوايتكر ونخبة جيدة من الممثلين، ومصحوباً بإخراج جيد من قبل فرمان. كما نلاحظ تعمد المخرج استخدام عدد محدد من الألوان مدرجاً إياها بكادراته ليخلق للفيلم بيئةً محددةً ذات ملامح خاصة، وطابع استثنائي. تنتهي الأحداث بموت راسل بول فجأةً أثناء وجوده في قسم الشرطة ومناقشته لبعض الأمور المتعلقة بتوباك وبيجي، ليحيط الضباب بالكادرات الأخيرة الخاصة بالفيلم ولتُغلق القضية بشكل نهائي. ومن الممكن أن نشهد عمليةً أخري من التوثيق السينمائي من خلال فيلم "نورث كانتري" لتشارليز ثيرون وآمبر هيرد، والذي يهتم بمناقشة التحرش الجنسي، ويعمل علي توثيق أول واقعة تحرش جنسي في تاريخ المجتمع الأمريكي بشكل بارع ومميز. تعمل عملية التوثيق علي نقل الأحداث الحقيقية والمعروفة إلي الجمهور من خلال الوسيط السينمائي، والذي يعتمد علي الصورة والصوت بشكل رئيسي، لينجح في نقل الفكرة بأفضل صورة ممكنة. تُعد عملية التوثيق أمراً صعباً؛ لأنها تحتاج إلي تحري الدقة والمهنية من أجل نقل الفكرة بالشكل الصحيح دون

الإخلال بالمضمون أو التطرق إلي الفبركة، مما يدفع شركات الإنتاج إلي الإعداد الجيد لمثل هذه الأفلام، والتي تحظي بترقب الجمهور والنقاد.

الفصل العاشر

السينما والعاطفة

عملت السينما علي تجسيد الكثير من العواطف الإنسانية عبر تاريخها الممتد ونجحت بشكل رائع في نقل الكثير من المشاعر الإنسانية للجمهور العام من خلال الكثير من الأفلام السينمائية، والتي حققت النجاح علي مستويي الجمهور والنقاد. من الممكن أن نرصد الكثير من المشاعر الإنسانية في فيلم وودي ألان المعروف "فيكي كريستينا برشلونة"، والذي يرصد بدوره العلاقات المتشابكة، والعواطف المضطربة، والمشاعر المتبادلة بين الشخصيات المُتضمنة في العمل السينمائي. أيضاً من الممكن أن نحصل علي قدر هائل من المشاعر الإنسانية والأفكار العاطفية من خلال فيلم "ليلي أفضل من نهارك"، حيث يقدم المخرج الأوكراني زولاوسكي في هذا الفيلم الفرنسي العلاقة الغريبة بين لوكاس "المنهار جسدياً" و بلانشي "المنهارة أخلاقياً" معتمداً علي سيناريو مبسط وحبكة مليئة بالاضطرابات. يعتمد الفيلم بشكل واضح علي الحضور المميز للممثلة الفرنسية الجميلة صوفي مارسو، والتي نالت حظاً كبيراً من الشهرة في بلادها لفترة تجاوزت العقدين، حيث تلعب مارسو شخصية بلانشي، الفتاة الغامضة، والتي تخلت

عن أخلاقها، ومبادئها من أجل شهرة زائفة، ومال فان. وفي نفس الوقت، تقابل بلانشي لوكاس "جاكوس دوترونك"، الشاب المريض، والذي يفقد ذاكرته تدريجياً من جراء المرض الذي شُخص به مؤخراً، لتجمعهما في النهاية الكثير من الأيام والليالي في أحد المنتجعات المميزة المطلة علي الشاطيء. تضفي مارسو علي العمل طابعاً فنياً خاصاً كعادتها بالتوازي مع دوترونك، والذي يظهر قدراً كبيراً من المعاناة أثناء تجسيده للدور. في الحقيقة، من السهل أن يُصنف العمل بالفيلم العادي من أول مشاهدة ومن قبل أي مشاهد، لكن جماله يكمن في قدرة زولاوسكي علي خلق بيئة جديدة ومناسبة لاحتواء معاناة شخصيتين قابعتين علي حافة الهاوية، وبانتظار من ينتشلهما بعيداً عنها بحثاً عن الخلاص.

وبالنسبة للفيلم الإسباني "اربطني"، يقدم المخرج الشهير بدرو ألمودوبار قصة سيكوباتي غير متزن يدعي "ريكي"، والعواقب التي تصاحب خروجه من إحدي المصحات النفسية، والتي قضي بها فترةً طويلةً، ليخرج أخيراً إلي الحياة الواقعية من جديد. بعد خروجه، يبحث "ريكي" (أنطونيو بانديرس) عن صديقته السابقة

"مارينا" (فيكتوريا أبريل) بعد أن تمكنت من التمثيل بأحد الأفلام القابعة تحت بند السينما الهابطة ليطاردها بشكل دائم وليخطفها في نهاية المطاف. يسيطر عليها بشكل هوسي، ويحاول باستمرار أن يقنعها بضرورة الزواج منه، وكأنه قد غادر المصحة عن طريق الخطأ، دون التأكد من صلاحية عودته للحياة الطبيعية من جديد. تتوالي الأحداث في إطار هزلي وشيق، بينما يتألق ألمودوبار في الاهتمام بالألوان والحصول علي كادرات مميزة من ممثليه. يعمل الفيلم علي رصد العواطف المضطربة والمتبادلة بين شخصيات العمل الفني، وينجح في عرض الاضطراب المسيطر علي "ريكي"، كما يعمل علي إبراز الجوانب العاطفية المختلفة الكامنة في شخصيته وشخصية مارينا، ليبرع في عرضها بشكل مميز واستثنائي معتمداً علي الاختلاف الجذري بين الشخصيتين. بالطبع، يمثل الفيلم خطوةً هامةً في مسيرة بانديرس وأبريل، كما يُعد عملاً مقبولاً مقارنةً بباقي أعمال بدرو ألمودوبار؛ المخرج الإسباني الأكثر شعبيةً بعد المخضرم لويس بونويل. أيضاً من الممكن أن نرصد "العنصر العاطفي" في الفيلم العظيم "سويني تود" الصادر في عام 2007،

حيث يقدم المخرج الأمريكي الشهير تيم برتون جوني ديب وهيلينا بونام كارتر بشكل عظيم وغير مسبوق. وبموسيقي ستيفن سوندهايم، تتوالي الكادرات بشكل متأنق كما تتقدم الأحداث وتتحرك بشكل سلس ورائع ضمن إخراج عظيم من برتون. هنا يظهر ديب في واحد من أعظم أداءاته الفنية علي الإطلاق في دور "سويني تود"، والذي نُفي بعيداً عن زوجته من قبل قاضي المدينة "آلان ريكمان" ليحصل علي زوجته الجميلة لوسي. يعود تود إلي البلدة من جديد، لكنه يحمل بداخله إصراراً غير مسبوق علي الانتقام، واسترداد زوجته العزيزة لوسي، وابنته الجميلة جوانا. بالطبع، يتناول العمل فكرة الانتقام، ويعرضها بشكل عميق وعظيم، ومن خلال ملامح ديب المعبرة، يرصد برتون رغبة تود في الانتقام واسترداد حقه المفقود. ويحيط فيلمه بأجواء قوطية مظلمة، وكعادته يتلاعب بالمؤثرات الضوئية بشكل فاتن، لينجح في رصد العواطف الكامنة في دواخل البشر بشكل أنيق وجذاب. يرصد الفيلم عواطف تود الملتهبة تجاه زوجته، وابنته المختطفتين كما يظهر مشاعر الغضب والكراهية، والتي يحملها تجاه قاضي المدينة الفاسد

والظالم. تتوالي الكادرات السينمائية ضمن بيئة مفعمة بالعنف والصراع، لتنتهي الأحداث في إطار ملطخ بالفقد والدماء، ولينجح برتون في عرض قصة "سويني تود" الشهيرة والعتيقة في أفضل صورة سينمائية ممكنة. في عام 1972، قدم المخرج إدوارد دمترك فيلم "ذو اللحية الزرقاء"، حيث يظهر الممثل البريطاني ريتشارد برتون في دور "البارون النازي الكاره للنساء" بشكل متألق للغاية، وبالرغم من بساطة الفيلم وسهولة فكرته، إلا إنه يمتلك عدداً من اللحظات الآسرة واللقطات الساحرة. كما ينجح في رصد العواطف المضطربة المهيمنة علي شخصية البارون، والمشاعر الإنسانية المسيطرة علي زوجاته العديدات. أجواء مميزة أدت إلي تجربة جيدة مدعومة بحضور مميز لكل من ريتشارد برتون، وجوي هيزرتون، وركويل ويلش بكل تأكيد. يرصد الفيلم قصة الجنرال النازي "كرت فون سبر" وزيجاته المتعددة وزوجاته اللاتي يقتلهن الواحدة تلو الأخري بدافع سيكوباتي خفي يُكشف عنه الستار في النهاية من قبل زوجته الأخيرة "آن"، والتي تؤدي دورها جوي هيزرتون. يمنحها البارون فرصة مطولة

حتي الفجر قبل أن يرديها كغيرها ممن سبقوها، بينما تنجح "آن" في استمالته، والحديث معه ليفضِ لها بالكثير عن سنواته السابقة، وليسترجع الرجل ذكرياته بأكملها في إطار درامي متوهج. ينتهي العمل الفني بمقتل الجنرال النازي علي يد واحد من اليهود، انتقاماً منه علي إبادته لأهله مسبقاً، كما تنجح "آن" في الهروب من قلعته في نهاية المطاف، وضمن إطار متأخر، تحضر جنازته المهيبة مبتسمةً ومحاطةً بجنوده الحاملين لشارات الصليب المعقوف. موسيقي رائعة من إينيو موريكوني، وإخراج جيد من دمترك، لتسود الفيلم حالة من الخوف والترقب ضمن إطار عام مبني في أساسه علي "الفلاشباكس" واستعادة الذكريات. تصل الأمور إلي الذروة في النهاية بشكل هزلي وغريب، بينما يلقي الجنرال حتفه ليسقط صريعاً بين رجاله الكثيرين، والذين عجزوا عن إبعاد ضربة القدر الحتمية الموجهة له. مشاعر إنسانية وعواطف مضطربة يرصدها دمترك بشكل جيد، ليعبر عن شخصية البارون المضطربة والمليئة بالأسرار، والتي يُكشف عنها الستار في نهاية المطاف. في عام 1980، قدم المخرج الشهير فرانسوا تروفو فيلم "المترو الأخير"،

والذي يهتم بعرض العواطف المضطربة المُجسدة من قبل شخصيات العمل خلال عام 1942، حيث تأخذ الأحداث من باريس المحتلة وقتها موطناً ومكاناً لها. في هذا الفيلم، ينبغي علي الممثلة المسرحية ماريون ستاينر الاحتفاظ بزوجها اليهودي لوكاس ستاينر في القبو السفلي للمسرح الخاص بهما خوفاً عليه من بطش النازيين، وفِي نفس الوقت تسعي ماريون للحفاظ علي نشاط المسرح وعدم إغلاقه. تستعين ببرنارد ليساعدها في إدارة المسرح وإخراج الأعمال المسرحية المتعددة التي تُعرض بداخله طوال الأسبوع. تتوالي الأحداث في إطار هاديء وسلس متناولةً الكثير من التفاصيل الخاصة بعلاقة ماريون بزوجها لوكاس، وفِي نفس الوقت العلاقة الناشئة بينها وبين برنارد؛ المسرحي الذي وطأت قدماه أرض المسرح مؤخراً. ينتهي الفيلم بهزيمة ألمانيا وطرد النازيين وخروج لوكاس إلي العلن، ليستمتع بعروض مسرحه المختلفة دون أن ينتابه أي خوف أو قلق. هنا يقدم تروفو فيلماً رائعاً مصحوباً بأداءات مميزة من كاترين دونوف وجيرارد ديبارديو وباقي الفريق بكل تأكيد. ويُعد هذا الفيلم عملاً مضيئاً بين أعمال

الربع الأخير الخاصة بكارير فرانسوا تروفو دون شك. تظهر كاترين دونوف أيضاً في فيلم آخر مفعم بالعواطف والمشاعر الإنسانية، يُدعي "تريستانا"، للمخرج السريالي البارع لويس بونويل، حيث يتمحور العمل حول العلاقة بين تريستانا "الفتاة العفيفة"، والدون المنافق القائم علي رعايتها بعد وفاة أمها. يقدم فرناندو راي شخصية "الدون لوب" ويعرض التناقض والنفاق المتعلقين بها بشكل رائع، وتجسد دونوف الشخصية "تريستانا" بشكل بارع للغاية، لتنجح في إبهار المشاهدين والنقاد علي السواء. يعرض الفيلم تطورات العلاقة بين "تريستانا" والدون لوب الذي يستغلها فيما بعد، سامحاً لطبيعته الشيطانية بأن تتحرر وتنطلق. تخبره الفتاة عن تناقضه ونفاقه، وتتعجب من كلامه عن الشرف والأخلاق. تخالف أفعاله أقواله، وتنافي تصرفاته دعواته للحفاظ علي الشرف والعفة والطريق المستقيم. الإنسان كائن متناقض دون شك، كائن مبني علي التناقض ولابد أن يُصاب بدرجات من الخلل النفسي من جراء ذلك، لكن الدون لوب لا يظهر هذا التناقص فحسب بل تُصنف تصرفاته تحت بند "التطرف

الصارخ". هنا ينجح بونويل في إظهار الصراعات العاطفية الناجمة عن هذا التناقض، كما يبرع في تجسيد التغير العاطفي التام المتجسد في رؤية شخصية تريستانا لشخصية الدون لوب، حيث تتغير وجهة نظرها تجاهه، ولا يتوقف الأمر عند هذه النقطة فحسب بل يمتد ليشمل سلوكياتها وأفعالها أيضاً. ومن الممكن أن نرصد العواطف الإنسانية بشكل أكثر اختلافاً في الفيلم الفرنسي "اليتيمة" من بطولة أديل هني وأديل اكزاركوبولوس وجيما أرترتون، حيث يحكي العمل الفني قصة فتاة تسافر إلي باريس هاربةً من ماضيها السيء والكارثي، ويعرض قصصاً عديدةً لفتايات يعشن حيوات مفعمة بالتهور والصراع والبحث عن الحرية في أسمي صورها. تؤدي "هني" شخصية "رينيه"، والتي تعمل كمعلمة في إحدي المدارس بعد أن وصلت إلي باريس هاربةً من ماضيها السيء، لتظهر لها تارا "ارترتون" محدثةً الكثير من الارتباك في حياتها الجديدة والمستقرة. في نفس الوقت يعرض الفيلم قصصاً أخري بشكل متوازي، مثل قصة ساندرا (اكزاركوبولوس)؛ الفتاة المتهورة والتي تنخرط باستمرار في الكثير

من العلاقات العاطفية السطحية، لتنتهي أغلبها بالفشل. كما تظهر شخصية مضطربة أخري تُدعي "كارين"، والتي تعاني من عنف والدها بشكل مآساوي ومؤسف، ليلاحقها في الكثير من المشاهد مسبباً لها قدراً كبيراً من الاضطراب النفسي والذهني. عندما نحلل كل هذه القصص، يمكننا أن نصل إلي أمر واضح وحاسم حول فكرة الفيلم الرئيسية، والتي تتلخص في حقيقة سعي الروح نحو نبذ المخاوف والوقوف علي أرض الحرية بصمود، وإراداة، وثقة تامة. يظهر الفيلم التغيرات العاطفية المصاحبة لحيوات هذه الفتيات، ليعرضها ضمن إطار مفعم بالاضطراب والصراع، ولينجح عبر كادراته المتلاحقة في نقل معاناتهن بشكل مميز وجذاب. في الفيلم الوثائقي "انصت إلي، مارلون" يعرض المخرج ستيفان رايلي الكثير عن حياة الممثل الأيقوني مارلون براندو متناولاً العديد من الموضوعات الشائكة في حياته والاضطرابات العاطفية المسيطرة علي تجربته الفنية والشخصية. كما يتناول بداية براندو بالسينما وتطور كاريره ووصوله إلي القمة محققاً الكثير من النجاحات والإخفاقات علي مدار تاريخه كأي ممثل آخر. لكنه

يتميز عن الآخرين في حقيقة أنه من نقل الأسلوبية إليّ السينما، وأحدث طفرةً كبيرةً في عالم التمثيل جالباً المزيد من الواقعية إلي الشاشة، ونابذاً الكلاسيكية التي قد صارت هشةً ومملةً وقتها. يتميز براندو أيضاً بأنه قد قدم أداءات لا مثيل لها في أفلام مثل الأب الروحي، والتانجو الأخير في باريس، والقيامة الآن، وعلي الواجهة البحرية، وغيرها من الأداءات التي تُصنف ضمن أعظم الأداءات في تاريخ السينما. ويصنفه الكثير من النقاد كالممثل الأعظم في التاريخ، ويُصنف دوره بالعراب كالأهم والأكثر إبهارا. يتناول الفيلم مراحل النجاح والإخفاق علي السواء، ويعرض الأضواء التي سُلطت عليه حين عُرض فيلمه "علي الواجهة البحرية"، ليحقق نجاحاً كبيراً وهاماً. يتناول العمل الفني مراحل الركود في تاريخه والأدوار التي أعادته إلي الأضواء من جديد مثل دون فيتو كورليوني في "الأب الروحي" دون شك. كما يتحدث عن المآسي والمسرات في حياته، وعن حبه لتاهيتي وكونها المكان الذي عشقه وعن حقيقة أنها كانت ملجأه الدائم للهروب من صراعات المجتمع المعقد والممل. يتحدث الفيلم عن مناصرته

للهنود الحمر، وعن احتقاره للكثير من الأوهام المسيطرة علي عقل الإنسان. وفي أحد المشاهد، وبينما يجلس علي الرمل في مقدمة الشاطيء بتاهيتي، يقول " أحياناً أنظر إلي البحر، وأتعجب من أهمية أفعال الإنسان التي قام بها، أو لم يقم بها، وأتساءل إذا كانت أكثر أهمية من حفنة الرمال الموجودة تحتي". الفيلم مبني علي لقطات حية للكثير من الأمور المتعلقة بحياة براندو والعديد من التسجيلات الصوتية التي كان يسجلها طوال حياته من ضمن آلاف التسجيلات الأخري التي سجلها باستمرار، لينجح رايلي في نهاية المطاف في عرض التأرجحات العاطفية والفكرية المتعددة، والتي سيطرت علي حياة الفنان الهوليودي المخضرم .. مارلون براندو. ومن الممكن أيضاً أن نرصد المزيد من العواطف المضطربة في الفيلم السينمائي "عيون مغلقة تماماً" للمخرج البارع ستانلي كيوبريك؛ حيث يقدم في فيلمه الأخير قصة ويليام هارفارد (توم كروز)، وانخراطه في حفلات العربدة الليلية المقامة برعاية أعالي القوم وأكثرهم شهرةً وهيبةً في البلاد؛ ليرضي دوافعه الانتقامية العميقة، والتي تغلغلت إلي نفسه الضعيفة بشكل وافر بعدما

اعترفت له زوجته أليس هارفارد (نيكول كيدمان) بخيالاتها الغريبة والفاحشة. يرتدي كل المشاركين في هذه الحفلات أرديةً مستوحاةً من الطابع الفينيسي، ويكملها قناعات غريبة المظهر والهيئة؛ ليخفوا هويتهم وحقيقتهم عن العامة. يري البعض أن الفيلم يمثل كشفاً صريحاً لجماعة الألوميناتي، والتي ترددت الكثير من الشائعات حولها، وانتشرت الكثير من الأخبار عن تخطيطها لغزو العالم وقيادته والسيطرة علي منابع قوته وأهم مراكزه.

ويعرض الكثيرون عن هذه الفكرة معتمدين علي الرؤية المبسطة للفيلم، والتي تشمل الحبكة المقدمة من قبل كيوبرك في إطارها المعروض علي الشاشة دون لف ودوران. يعرض كيوبرك فيلمه معتمداً علي أسلوبه العظيم والبارع، لينجح في خلق فيلم مميز وغريب. بالطبع لا يُعد الفيلم أهم أعماله الفنية لكنه يمثل نهايةً أنيقةً وثائرةً لكاريره الصغير والعظيم. يقدم كروز شخصيته في إطار مفعم بالفضول والإثارة، والندم أحياناً، بينما تلعب كيدمان شخصيتها في إطار بارد وغامض ومريب. تتوالي الكادرات الفنية لترصد تعرف ويليام علي حفلات الجماعة السرية بمساعدة صديقه

العزيز نيك، وسعيه للإقلاع عنها فيما بعد، واعترافه لزوجته أليس بالحقيقة في نهاية المطاف. تتعقد الأحداث لتصل إلي الذروة بمقتل إحدي شخصيات الفيلم، ولتهدأ بعدها حينما يعود ويليام إليّ أليس راغباً في الهدوء والطمأنينة والاستقرار؛ لينهي كيوبرك فيلمه الجامح بشكل أنيق، ومميز. من الممكن أن نرصد غياب العاطفة أو اضطرابها من خلال فيلم "تحت الجلد" للممثلة المعروفة سكارليت جوهانسون. ففي إنتاج مشترك للولايات المتحدة والمملكة المتحدة وسويسرا، يقدم المخرج البريطاني جوناثان جليزر قصة فتاة غريبة تعمل علي اصطياد الرجال في الساعات المتأخرة من الليل باسكتلندا؛ لتأخذهم إلي عالم موازي وغريب وغير مفهوم. تلعب سكارليت جوهانسون الشخصية الرئيسية بالفيلم معتمدةً علي التجسيد الهاديء والبارد للشخصية، بينما تتكيف معها باقي شخصيات العمل ضمن إطار يشمله البرود والغرابة والسوداوية المفرطة. وفِي نفس الوقت، يعمل جليزر علي عرض تفاصيل الحبكة ضمن بيئة مفعمة بالريبة والغموض؛ ليثير الكثير من التساؤلات بشأن شخصية الفتاة وليحرك دواخل المشاهدين

بشكل عام. يقدم المخرج عمله الغرائبي لجمهور محدد بكل تأكيد، حيث لا يناسب الفيلم جميع المشاهدين، ويرجع ذلك إلي غرابة القصة وبيئتها العجيبة والمغلقة. يكمن بداخل الفتاة ما يثير التساؤلات ويحرك الأفكار. يقبع بداخلها شيء غريب من عالم بعيد، عالم لا يفهمه أحد من أبطال الفيلم المتعددين، لكنهم يتجاوبون معه بطيبة شديدة وبحماسة زائدة، ليأخذهم إلي عوالم سوداوية محاطة بالغموض والضباب. تجسد جوهانسون شخصية الفتاة بشكل أنيق، لتظهرها في إطار بعيد كل البعد عن العواطف والمشاعر الإنسانية، ولتضعها في بيئة هجينة وغامضة. كما تنجح في خلق الأجواء الباردة الخاصة بالشخصية، لتمنع المشاهد من التعاطف معها بأي شكل من الأشكال حينما ينتهي مسارها بشكل مأساوي في نهاية الفيلم المضطربة والمحتدمة والغريبة. بالطبع يجنح جليزر إلي استخدام المؤثرات البصرية الفاتنة، والرمزية المفرطة، والسوداوية العميقة، والطبيعة الخلابة لاسكتلندا الآسرة. كما يعمد إلي استخدام "الأنثروبومورفيزم" المعتمد علي منح الصفات الإنسانية لغير الإنساني بشكل أنيق وبارع، ليخلق لحبكته الفنية

أبعاداً وجوديةً متعددةً، من خلال تجسيد العالم البشري عبر المنظور الخاص بغير البشري. تتوالي كادرات الفيلم ضمن إطار يشمله الفزع والاضطراب محاطةً بموسيقي خلفية مُستمدة من أفلام الرعب الخاصة بالثلاثينيات والأربعينيات، ليخلق جليزر من خلالها بيئةً فنيةً معتمدةً علي الغموض والتشويق والإثارة.

في الفيلم الألماني "الحياة المتوحشة"، يقدم المخرج أكيم بورنك "أكيز" قصة الناشطة والفنانة "أوشي أوبرماير" وعواطفها المضطربة وصراعاتها المتعددة وأفكارها الثورية المتحررة. كما يرصد انضمامها لحركة الجناح اليساري؛ صاحبة الأفكار التحررية والثورية والمضادة لسياسات حكومة ألمانيا الغربية المسيطرة علي البلاد بصورة مركزية وصارمة. شملت الحركة الناشبة في عام 1968 الكثير من الطلاب مطالبةً بحقوقهم، ومعارضةً لسياسات الحكومة الألمانية الصارمة وقتها. كما اعتمدت علي الكثير من الأفكار الثورية المتحررة، والتي من شأنها أن ترفع من قيمة مذهب المتعة، وتعمل علي نشر الأفكار الشيوعية والاشتراكية في أركان المجتمع الألماني المحافظ. اعتمدت الحركة الثورية علي أفكار التيار

اليساري القائمة علي المساواة بين الجميع، والداعمة للفكر الاشتراكي بشكل كبير، والمعارضة للرأسمالية بطبيعة الحال. كما عملت علي ضخ الكثير من الأفكار المتحررة والصادمة في عروق المجتمع الألماني بصورة غير مسبوقة. أدت حركة الشباب إلي الكثير من الطفرات الفكرية فيما يخص حقوق المرأة، والتعليم، واحترام الحريات، وتوقير الدستور. كما أفضت إلي تطوير قوانين العمل، وأثرت في الفن والثقافة والمجتمع بشكل عام. وقد انتقلت ألمانيا بعدها إلي نظام مدمج قادر علي الجمع بين الأفكار الرأسمالية والاشتراكية، لكنها عمدت إلي الرأسمالية في نهاية المطاف بصورة واضحة. ضمت الحركة الكثير من الطلاب، والفنانين، والثوريين الذين انتهزوا الفرصة للتعبير عن رفضهم لجبروت الولايات المتحدة الأمريكية المتمثل في الممارسات الاستعمارية المتعلقة بحربها علي فيتنام وقتلها للملايين من الأبرياء هناك، حيث اتخذت الموجة الثورية من حرب فيتنام والأوضاع المتدنية في العالم الثالث موضوعاً محورياً وجدياً للنقاش. هنا تلعب ناتاليا أفلون شخصية "أوشي"، الناشطة السياسية وعارضة الأزياء، بشكل هاديء

للغاية دون تعبيرات واضحة أو معبرة، لكنها تضفي علي الدور طبيعةً شرسةً تظهر بوضوح في ملامحها المتجهمة وأسلوبها الجامح. يفشل المخرج في الغوص بالفكرة ويعجز عن التعمق وإظهار التفاصيل الدفينة، لكنه يكتفي بعرض فكرته ضمن إطار سطحي مبهم وضمن أسلوب تشمله عبثية السرد وضبابية الفكرة.
تتوالي أحداث الفيلم بإيقاع بعيد كل البعد عن السردية المنطقية أو الحبكة المحكمة، وبدلاً من ذلك نجد أنفسنا منخرطين في متابعة تسلسل قصصي عبثي، ومحاطين بأفكار غير منظمة وهمجية، لتُقدم الفكرة الخاصة بالفيلم للمشاهد بشكل أهوج غير منمق. في النهاية، يكمن جمال العمل الفني في عرضه لقصة أوشي أوبرماير وطرحه للأحداث الحقيقية الخاصة بها علي طاولة النقاش، مما يساعد علي تكوين بيئة فنية مفعمة بالفضول والرغبة في التعرف.
من الممكن أيضاً أن نرصد المزيد من العواطف المتأججة والمضطربة من خلال الفيلم البرازيلي "الفراديس المصطنعة"، حيث يقدم المخرج البرازيلي ماركوس برادو في هذا العمل الدرامي قصة "اريكا"، وصديقتها "لارا" بشكل مبسط للغاية، راصداً رحلتهما

العبثية إليّ أحد المهرجانات البرازيلية المنعقدة علي الشاطيء، والتي من شأنها أن تسمح لهما بالانطلاق والتحرر من القيود والحصول علي أكبر قدر ممكن من أنواع المخدرات المختلفة، والتي يعرضها عليهما الشباب المنتشرون في الأرجاء بكل حب ويسر. في العمق، تكمن النظرة السوداوية للحياة، وحب التمرد، ومحاولة الشابتين الحصول علي أكبر قدر ممكن من المتعة الزائفة المرهقة لروحيهما علي المدي البعيد، حيث تعمدا إلي "مذهب المتعة" بأشكاله المتعددة معتقدتين أنه الملجأ الوحيد لهما، والمخلص الفعلي لكل متاعبهما ومشاكلهما. إنه الوهم دون شك .. الوهم المتمثل في الفراديس المصطنعة التي تخلقها تلك المواد المخدرة، لتدمر النفس والجسد علي المدي البعيد، ولترهق المرء علي كافة الأصعدة والمستويات، حيث يمثل الأمر برمته متعةً زائفةً مهلكةً للروح والنفس، ولا يتوقف الأمر عند ذلك فحسب بل قد تنتج عنه الكثير من العواقب الوخيمة والأضرار الجسيمة، والتي من شأنها أن تهلك الكثيرين. هكذا يعرض الفيلم قصته في إطار مفعم بالتهور والحماسة والإثارة، لكنه في نفس الوقت يقدم رسالته الحكيمة

مخفيةً بين ثنايا كادراته المتلاحقة بشكل سريع، والممزوجة بالموسيقي والطبيعة البرازيلية الخلابة والآسرة، ليخلق برادو في نهاية المطاف عدداً من الكادرات الفاتنة والمؤثرة بكل تأكيد. ينتهي المهرجان بوفاة لارا المنتشية باستمرار كنتيجة حتمية لحصولها علي جرعات زائدة عن المطلوب، ومن هنا تتعقد الأحداث لتُصاب اريكا بحالة من الصدمة، ولتنخرط في حالة شديدة من البكاء. تتوالي الأحداث راصدةً مغادرة اريكا لهذا المهرجان العبثي، لتنهي علاقتها مع كل أصدقائها المشاركين به، ومن ضمنهم "فرناندو"؛ الشاب الأقرب بالنسبة إليها ولصديقتها الراحلة لارا. وتتحرك الكادرات إلي الأمام معبرةً عن التغيرات الطارئة علي حياتها، والتي من شأنها أن تخلق لها بيئة أكثر نضجاً وحكمةً ضمن إطار عام تشمله الذكريات والومضات الذهنية المتناثرة والسريعة. وبعد فترة طويلة، تقابل اريكا فرناندو من جديد لتأخذ الأمور منحنياً جديداً وبارزاً، ولتتوالي اللحظات الأخيرة من الفيلم بشكل سريع وخاطف تحت إشراف البرازيلي برادو. تقدم ناتاليا ديل شخصية اريكا بشكل مميز معتمدةً علي الهالة الخاصة بها، والتي دعمتها في

الكثير من أعمالها الفنية، والتي تشمل مسلسل "حكاية روك" بصورة مؤثرة، وتلعب ليفيا دي بوينو شخصية لارا، ويقدم لوكا بيانشي شخصية فرناندو "أو ناندو". وفِي نفس الوقت، لا يمكن أن ننكر الأداء الجيد للمخرج ماركوس برادو، والمصور السينمائي لولا كارفالو، لينجح كل القائمين علي العمل في خلق فيلم درامي جيد وجذاب ومفعم بالكثير من العواطف المضطربة.

-انتهي-

تأملات سينمائية .. معتز عرفان

دار عرفان للنشر .. مؤسسة عرفان للثقافة والفنون